

جامعة الأزهر الشريف

كلية اللغة العربية بالمنصورة

أحاديث رؤى النبي صلى الله عليه وسلم المنامية

دراسة بلاغيّة تحليليّة

د. مصطفى نجاح عبدالعزيز عيسى

مدرس البلاغة والنقد في جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية (المنصورة)



ملخص البحث

البيانُ النبوي حافلٌ بالحديث عن الرؤى، وهو حديث متنوعٌ، وقفَت الدراسة منه مع رؤى النبي ﷺ في منامه؛ فرؤى الأنبياء من مبادئ الوحي، وهي أول مراتب النبوة، وهي علامة من علامات نبوته ﷺ وأماراتها. والناظرُ في مرائيه ﷺ يجدُ فيها شموليةً لكل ما يتعلق بالدعوة وأحوال المسلمين؛ تُبصر فيها بشارات، ونذارات، وتنبؤات.. سواء أكان ذلك على مستوى الأشخاص أم الأحداث.

دع عنك أن هذه الأحاديثَ إخبارٌ من نواميس الإلهام، وعالم المنامات.. فهل ثمة تغاير في نمط بنائها، وسمتِ تركيبها، وطريقة نسج جملها؟ فكان البحث: (**أحاديث رؤى النبي ﷺ المنامية دراسة بلاغية تحليلية**)، انتهجتُ فيه المنهج الوصفي التحليلي؛ بغية الكشف عن أبرز ظواهره الأسلوبية، واستكشاف دلالتها البلاغية.

جاءت الدراسة في مقدمةٍ، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة، وفهارسَ؛ التمهيد (دلالة الرؤيا، وطبيعة النص)، والمطلب الأول: (الرؤى غير المؤولة)، وفيه ثماني رؤى، والمطلب الثاني: (الرؤى المؤولة)، وفيه ست رؤى، ثم تأتي الخاتمة، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثَبَت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

Abstract

The Prophet's Eloquence (PBUH) is full of narratives of sleep dreams; they are diversified narratives. This study focuses on the prophet's sleep dreams; the Prophets' dreams are among the principles of Revelation, the first of the prophethood grades, it is a sign of His prophethood (PBUH). In the dreams of the prophet (PBUH) we find comprehensiveness of everything related to the Da'wa and the conditions of the Muslims; these dreams have glad tidings, warnings and predictions … whether on terms of people or events.

As these narratives tell of the revelation norms, the world of sleep dreams, there must be a difference in its composition style, the way of constructing its sentences. So the research (Hadiths of the prophet's (PBUH) sleep dreams…Analytical Rhetoric Study) using the analytical descriptive approach, in order to reveal its most prominent stylistic aspects, and explore its rhetorical signification.

The study comes in an introduction, a preface, two cases, a conclusion, and indexes. The preface (Th Dream's Indication and Nature of the Text), the first case (the uninterpreted dream) has eight dreams, the second case (the interpreted dream) has six dreams. The conclusion follows with the key findings of the study. Then there are the source, references, and topics index.

Prof. Mustafa Najah Abdel Aziz Issa

Lecturer of rhetoric and criticism Faculty of Arabic Language Al-Azhar University (Mansoura)

المقدمة

أحمدُه حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلالِه، وأستعينُه استعانةَ مَن لا حولَ له ولا قوة إلا به، وأُصلي وأسلمُ على مَن أعطاه الله جوامعَ الكلم، وفصلَ الخطاب.

وبعد:

فللرؤى قدرٌ عالٍ في الإسلام، وفضلٌ عظيم على بني الإنسان؛ ففيها بشارةٌ للمؤمنين، ونذارة للمعرضين؛ ولا غروَ فهي جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة[١]، امتنّ اللهُ ﷻ بها على نبيّه يوسفَ عليه السلام؛ فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦].

والبيانُ النبويّ حافلٌ بالحديث عن الرؤى، وهو بيانٌ متنوعٌ؛ منه ما ورد تعظيمًا لشأنها، أو بيانًا لأنواعها وأقسامها، أو ذكرًا لما يتعلق بضوابطها وآدابِها، ومنه ما هو حديثٌ عن رؤى الصّحابة، وتأويله ﷺ لها، ومنه ما رآه هو ﷺ في منامه، تكشَّفَ له فيها ستورٌ من عالم الغيب وسرائره!

وقد توقّف البحثُ مع رؤى النبي ﷺ، واقتصرَ عليها بالدرس والمعالجةِ؛ فرؤيا الأنبياء من مبادئ الوحي، وهي أولُ مراتبِ النبوة؛ في البخاريّ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ**... »[٢]، وهي علامةٌ من علامات نبوته ﷺ وأماراتها؛ إذ إنّ هذه الأحاديثَ إخبارٌ من نواميس الإلهام، وعالمِ المنامات؛ ثم إنّ الناظرَ في مرائيه ﷺ يجدُ فيها شموليّةً لكل ما يتعلقُ بالدّعوة، وأحوال المسلمين؛ تُبصر فيها بشاراتٍ، ونذارات، وتنبؤات.. سواء أكان ذلك على مستوى الأشخاص، أم الأحداث!

فهل ثمّةَ تغايرٌ في نمطِ بنائها، وسمتِ تركيبها، وطريقةِ نَسْج جُمَلها عن بيان العِيَان والشهود؛ من التكاليف والعباداتِ، والمناهي والمحرماتِ..؟ لهذه الأسباب، ومحاولة للجواب عن هذا السؤال كان البحثُ في رؤاه ﷺ، وعنونتُه: **(أحاديث رؤى النبي ﷺ المنامية دراسة بلاغية تحليلية)**.

وآثرتُ في العنوان إضافةَ لفظ **(أحاديث)**؛ لأنّ الرؤيا لم تكن مفردةً بالقول؛ فثمةَ بيانٌ قبلها

---

(١) كما ورد عنه ﷺ في الحديث المتفق عليه. ينظر: صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب: التعبير، باب: رؤيا الصالحين، رقم: (٦٩٨٣)، ص١٢٠٥ط: مكتبة دار السلام، الرياض، ط:٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، وصحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب: الرؤيا، باب: في كون الرؤيا من الله، وأنها جزء من النبوة، رقم: (٢٢٦٤)، ص١٠٠٣، ط: دار السلام، الرياض، ط: الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

والمعنى: أنها جزءٌ من علم النبوة؛ لأن النبوة وإن انقطعت فعلمُها باقٍ؛ فهي تشبه النبوة من جهة الاطلاع على شيء من الغيب. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٦٣/١٢ ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وقول الله جل ذكره: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [النساء: ١٦٣]، رقم:(٣)، ص١.

أو بعدها، وقيدت (الرؤى) بـ(**المنامية**)؛ إذ إنّها قد تُطلَق على ما يكون يقظةً[١]؛ فكان القيدُ تنصيصًا على المراد، وقطعًا بطبيعة مجالِ المعالجة.

وانتهج البحثُ المنهجَ الوصفيّ التحليلي؛ فمن خلاله يمكن الوصولُ إلى أعماق النص وأغوارِه، والكشفُ عن أبرز ظواهره الأسلوبيّةِ، واستكشافِ دلالتها البلاغية، وكنتُ حريصًا على التقاطِ الظّواهرِ التي تكاثرَت وتتابعَت في الأحاديثِ، والوقوفِ معها – قدرَ ما أستطيعُ– بالمعالجة، والبحثِ عن سرِّ تَناديها مع المرائي النبوية!

ثم إني ألفيتُ الرؤى منها ما يكونُ ظاهرًا جليًّا يقع كما رُؤِي منامًا؛ لا يحتاجُ إلى تأويلٍ، ومنها ما يتَستّر وراءَ رموزٍ وإشارات يحتاج إلى تأويل، وأبصرتُ لكلٍّ من القسمين خصائصَ بنائيةً ينمازُ بها عن الآخَر؛ فكان البحثُ في مقدمةٍ، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة، وفهارسَ؛ التمهيدُ بعنوان: **(دلالة الرؤيا، وطبيعة النصّ)** تحدثتُ فيه عن الدلالة اللُّغوية والاصطلاحية للرؤيا، والعَلاقةِ بينها وبين (الحلم)، وعن الطبيعة التي ورودت عليها.

<u>والمطلب الأول</u>: (الرؤى غير المؤولة)، وفيه ثماني رؤًى: (رؤيا عيسى ﷺ)، (رؤيا أم المؤمنين عائشة ﵂ في سَرَقَة من حرير)، (رؤيا قصر عمر بن الخطاب ﵁ في الجنة)، (رؤيا دَفّ نعلي بلال ﵁ في الجنة)، (رؤيا خَشْف نعلي الغُمَيْصاء بنت مِلحان ﵂ في الجنة)، (رؤيا قراءة حارثة بن النعمان ﵁ القرآن في الجنة، (رؤيا دفْع السواك إلى الأكبر)، (رؤيا شفاء النبي ﷺ من السحر).

<u>والمطلب الآخر</u>: (الرؤى المؤولة)، وفيه ستُّ رؤًى: (رؤيا دار الهجرة، وأحداث بدر، وأحد، والفتح المبين)، (رؤيا نقْل وباء المدينة إلى الجُحفة)، رؤى عمر بن الخطاب ﵁؛ (فضل العلم، ومكانة علمه ﵁)، (حال دين الناس، وقوةُ دينه ﵁)، (نُبوءة اتساع الفتوحات في خلافته ﵁)، (رؤيا سوارَيْن من ذهب في يديه ﷺ).

ثم تأتي الخاتمةُ، وفيها أبرزُ النتائجِ التي توصَّلتْ إليها الدراسةُ، ثم ثَبَت المصادرِ والمراجعِ، وفهرسُ الموضوعات.

وأختِمُ بقول الشَّريفِ الرّضيّ: " ولستُ شاكًّا في أنّ ما يفوتُني من الجنسِ الذي أقصِدُه أكثرُ من الحاصلِ لي، والواقعِ إليَّ، ولكنّني أَقتصرُ على ما تَنالُه في هذا الوقتِ يدي، ويَقرُب من تَصفُّحي وتَأمُّلي." [٢]

وكتبه:

د. مصطفى نجاح عبدالعزيز عيسى
مدرس البلاغة والنقد في جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية (المنصورة)

[١] كما سيأتي بيانه في التمهيد.

[٢] المجازات النبوية؛ تح: طه عبدالرءوف سعد، ص٢٢، ط: مكتبة مصطفى البابي الحلبي١٣٩١هـ ١٩٧١م

(تمهيد)

(دلالةُ الرؤيا، وطبيعةُ النّص)

الدّلالةُ اللّغويةُ:

الأصلُ في لفظ (الرؤيا) أن يُطلَق على ما يكونُ منامًا، وقد يُستعمَلُ فيما يحصلُ يقظةً؛ في اللسان: " الرُّؤْيا: مَا رأَيْته فِي منامِك... ورأَيتُ عَنْكَ رُؤًى حَسَنَةً: حَلَمتها... وجمعُ الرُّؤْيا رُؤًى " [(١)]، و" الرؤيا تكون في المنام إلا أنّ العربَ قد استعملتها في اليقظة، وذلك في نحو قولِ الرّاعي يصِفُ ضيفا طرقه ليلا:

رفعت له مشبوبة عصفت لها
صبا يزدهيها مرة ويقيمها
فكبَّر للرؤيا وهشَّ فؤاده
وبشر نفسا كان قبل يلومها

وعلى هذا فسر في التنزيل – وعليه جلة المفسرين – قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء:٦٠]، يعني ما رآه ليلة المعراج، وكان نظرًا في اليقظة دون المنام." [(٢)]

ومما يقترب معنًى من الرؤيا، ويُفَسَّر بها دلالةً لفظُ (الحُلم)؛ بيد أنّ إطلاقه يغلب على الشرّ، و(الرؤيا) تغلُب على الخير؛ قال ابن سيده: " الحُلْمُ والحُلُم: الرُّؤْيَا. وَالْجمع أَحْلامٌ. وَقد حَلَم فِي نَومه يَحلُم حُلْما، واحتَلَم " [(٣)]، وَالرُّؤْيَا والحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الأَشياء، وَلَكِنْ غَلَبت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وَغَلَبَ الحُلْمُ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ... ويُستعمل كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ. [(٤)]

منهج القرآن في (الرؤيا)، و(الحلم):

اقتصر الاستعمالُ القرآنيُّ للفظ (الرؤيا) على الأمورِ الحقّة الثابتة الصادقة؛ في حين اقتصر في (الأحلام) على الأخيلة الباطلة، وما لا حاصل له من الأخاليط، والأكاذيب التي لا أصل لها.

جاءت (الرؤيا) في القرآن سبع مرات[(٥)]؛ وردت خمس مرات للأنبياء؛ فهي من صدق الإلهام القريب من الوحي؛ رؤيا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات:١٠٤، ١٠٥]، ورؤيا يوسف إذ قال له أبوه: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف:٥] ، وقد صدقت وتحققت: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور؛ مادة: (رأى) ٢٩٧/١٤ ط: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ

(٢) الحواشي على درة الغواص لابن بري وابن ظفر، تح: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني ص٧٨٠ ، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تح: عبد الحميد هنداوي، مادة: (حلم) ٣٦٣/٣ط: دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

(٤) ينظر: لسان العرب مادة: (حلم) ١٤٥/١٢

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبدالباقي ص٣٥٠، ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف:١٠٠]، ورؤيا النبي ﷺ في الإسراء: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] [١]، ورؤياه في الفتح: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا من الأنبياء. والمرتان الأخريان في رؤيا العزيز وقد صدقت، وفي آيتها عبر عنها القرآن مرتين على لسان الملك بالرؤيا، لوضوحها في منامه وجلائها وصفائها، وإن بدت للملأ من قومه هواجس أوهام وأضغاث أحلام؛ ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف ٤٣، ٤٤]

أما لفظ (الحلم) فقد ورد ثلاث مرات[٢]، يشهد سياقُها بأنها الأضغاث المهوشة، والهواجس المختلطة؛ في جدل المشركين: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥]، وعلى لسان الملأ من قوم العزيز، حين سألهم أن يُفتوه في رؤياه: ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف: ٤٤]. [٣]

تناسب المعاني مع الألفاظ:

اختصّت لغةُ القرآن (الرؤيا) بالقسم الصالح؛ لما في صيغة لفظِها من الدلالة على مشاهدة الشيء بالبصر أو البصيرة، وجعل الحلم عبارة عما كان من الشيطان؛ لأن أصل الكلمة لم يستعمل إلا فيما يخيل إلى الحالم في منامه، ولهذا خص الاحتلام بما يخيل إلى المحتلم في منامه من قضاء الشهوة، وذلك مما لا حقيقة له.[٤]

تعانق الصيغة مع دلالة المادة:

لم يأتِ لفظُ (الرؤيا) في البيانِ القرآنيّ إلا بصيغة الإفراد؛ فلم يستعمل الجمع (رؤى)؛ في حين اقتصر على صيغة الجمع (أحلام)، ولم يستعمل مفرده (حلم).

---

[١] وهذا الموطن مختلف فيه بين المفسرين؛ فقيل: إنه من رؤيا المنام، وأن الله أراه مصارع كفار قريش في بدر، أو أراه أنه يدخل مكة. وقيل: الرؤية بصرية، والمراد ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء، (ولا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا.) ينظر: التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) للإمام الرازى١٠/٢٠/١٨٩ ط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: الأولى١٤١١هـ ١٩٩٠م

[٢] ينظر: المعجم المفهرس ص٢٦٥

[٣] ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص: ٢١٥ ط: دار المعارف، ط: الثالثة.

[٤] ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي ٣/ ١٠١٦ د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨هـ

والاقتصارُ على صيغة المفرد في (الرؤيا) دلالةٌ على التميز والوضوح والصفاء، أما الجمع (الأحلام) ففيه دلالة على معنى الخلط والتهويش؛ فلا يتميز حلم من آخر؛ ومن ثم كان التآخي بين دلالة المادة، وما وردت عليه صياغةً!

يقول علامةُ خوارزم في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف:٤٤] " فإن قلتَ: ما هو إلا حلم واحد، فلمَ قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا؟ قلتُ: هو كما تقول: فلان يركب الخيل، ويلبس عمائم الخز، لمن لا يركب إلا فرسًا واحدًا، وما له إلا عمامة فردة، تزيدا في الوصف، فهؤلاء أيضاً تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام."[١]

دلالة الرؤيا والحلم في البيان النبوي:

وردَ في بيانِه ﷺ التّفرقة بين دلالة اللفظين، كما هو منهج القرآن؛ وذلك في حديثِ أبي قتادةَ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان**» [٢]، ومن تفرقة الحديث استمدَّ الإمام البخاري – رحمه الله – في كتاب التعبير بابًا بعنوان: (الرؤيا من الله)، وآخر بعنوان: (الحلم من الشيطان، وإذا حلم فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله ﷻ.). [٣]

الدلالة الاصطلاحية:

كثرت الأقوالُ وتنوعت في دلالتها اصطلاحًا؛ وذلك تبعًا لتغاير المناحي، وتعدد الاتجاهات[٤] ويمكن القول بأنها: " أمثالٌ مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلى شبهه؛ ولهذا سمي تأويلها تعبيرا." [٥]، أو أنها: " إدراكاتٌ يخلقها الله ﷻ فِي قلب العَبْد على يَدي ملك أَو شَيْطَان إِمَّا بأسمائها أَي: حَقِيقَتهَا وَإِمَّا بكناها أَي: بعبارتها، وَإِمَّا تَخْلِيط، ونظيرها فِي الْيَقَظَة: الخواطر، فَإِنَّهَا قد تَأتي على نسق فِي قصد وَقد تَأتي مسترسلة غير محصلة. [٦]

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى، تح: محمد الصادق قمحاوي ٣٢٤/٢ ط: الحلبى، مصر، ط: الأخيرة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، وانظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص٢١٥

[٢] صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده ؛ رقم: (٣٢٩٢)، ص٥٤٨

[٣] ينظر: صحيح البخاري ص ١٢٠٥، ١٢٠٨

[٤] فهناك الاتجاه العقدي، والنفسي، والفلسفي... ينظر تفصيل ذلك في: الرؤى والأحلام في ضوء الكتاب والسنة للإمام ابن حجر العسقلاني ص٤ وما بعدها، ط: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت، والرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين د. سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي ص٢٥١، ط: دار كنوز اشبيليا.

[٥] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٣٢٩/٢، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٣هـ

[٦] عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ١٢٦/٢٤ ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طبيعةُ نصِّ الرؤيا:

إذا تأملتَ أحاديث الرؤى ألفيتَ أسلوبَ السَّردِ بكل مقوماته من أحداث، وشخصيات، وزمان، ومكان.. يُهيمن على بنية تركيبها؛ بيد أنه ملفوظٌ سرديٌّ ذو طبيعة خاصة متمايزة؛ فبيانُه ﷺ واضح مفصَّل؛ فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وغُرر الفصاحة والبيان؛ ورد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ فَصْلًا، يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ» (١)؛ " يعني: ما كان أحاديثه ﷺ متتابعة بعضها في أثر بعض، كما هو عادة الناس في التحديث والإخبار، بل كان يفصل بين الكلامين في الإخبار حتى لا يشتبه على المستمع بعض كلامه ببعض. " (٢)

والبنية السرديّةُ للأحاديث شكّل معالمَها مستويان؛ مستوى السرد المباشر (الرؤى غير المؤولة)، ومستوى السرد التأويلي (الرؤى المؤولة)، وعلى كلا المستويين نلمس مُفتتحًا استحوذ على بداءتها، وخصوصياتٍ هيمنت على عمومِ تشكيلها!

هيمن على بنيتها وضعيةُ بدْءٍ سائدة، ومفتتحٌ سردي ثابت؛ يمثل أداةً سرديةً ذات أهمية بالغة في خلْق طبيعةٍ ذاتِ خصوصية للسياق النَّصي بأكمله؛ (بينا أنا نائم)، (رأيت في المنام)، (نمت فرأيتني)، (أراني في المنام)، وهذه الأداة السردية لا تتغيّر في جوهر مكوناتها، وإن تنوعت صيغتها؛ (النوم، الرؤية، المتكلم).

كذلك نلمس على كلا المستويين خصوصياتٍ امتدت في عموم بنية السرد؛ منحتها مذاقات انفردت وانمازت بها؛ واقعيةِ الحدث وصحته، الإثارةِ والتشويق، وأنها ذات غاية ومقصد ترمي إليه.

تلمس فيها واقعيّة الحدث وصحته؛ فليس سرْدُ الأحداث فيها من قبيل حكي الخيالات، والأساطير المختلَقَة التي لا أصل لها! إنما هي من عالم الحق والصدق الغائب عنا؛ فرؤيا الأنبياء أول مراتب الوحي؛ والإمامُ البخاريّ – رحمه الله– بوّب أوَّلَ كتابٍ في صحيحه بعنوان: (كتاب بدء الوحي)، وعنوَنَ أولَ بابٍ فيه بـ (باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء: ١٦٣] ، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: "ومناسبة الآية للترجمة واضح من جهة أن صفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين، ومن جهة أن أول أحوال النبيين في الوحي بالرؤيا... حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة." (٣)

تحقّق فيها – كذلك – جانبُ جَذْب المتلقي، وإثارته وتشويقه، ودفْعه دفعًا حثيثًا إلى متابعة

---

(١) مسند الإمام أحمد تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ٢٧٤/٤٣، ط: مؤسسة الرسالة ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح ١٤٥/٦

(٣) فتح الباري ٩/١، وانظر: صحيح البخاري ص١، والرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين ص٢٠٧

الأحداث، وذلك يرجع إلى طبيعة الحدث السرديّ، وأنه من مشاهد الغيب، وأحوال الآخرة، يرجع – كذلك – إلى طبيعة ما جاء عليه الملفوظ السرديّ، وما عُني به من تصدير الأحداث مبهمةً، مجملة، منكرة.. ثم إتباعها بالإيضاح والتفصيل والتعريف! ثم ما اعتمده من حذف بعض المكونات السردية؛ فلم يأتِ على جميع مقوماتها أو مفاصلها؛ إنما يختزل منها ما ليس وراءه عظيم فائدة؛ تركيزًا على بؤرة الاهتمام، وصرفًا إلى غاية القول ومقصوده!

ثم إنّ ملفوظَ السَّردِ يأتي لبيان مقصد ومعانٍ ترمي إليها أحداث الرؤيا؛ ترغيبًا وترهيبًا؛ فهي على تنوع مساقاتها، واختلاف موضوعاتها وسيلةٌ لغرز القيم الفاضلة والحث عليها، وأداةٌ لاقتلاع الرذائل القبيحة والتنفير منها!

(المطلب الأول: الرؤى غير المؤولة)

١– (رؤيا عيسى عليه السلام)

عن عبد الله بن عمر ﵄ قال: والله ما قال رسول الله ﷺ: لعيسى ﵇ أحمر قط، ولكنه قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ، يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطُفُ رَأْسُهُ أَوْ يُهَرَاقُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى؛ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ.**» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: "رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ، مِنْ بَالْمُصْطَلِقِ، مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ."[١]

الرؤيا في بيانِ أوصافِ المسيحِ عيسى ﵇، واختلافِ وصفِهِ عن المسيحِ الدَّجالِ، وأولُ ما يفجؤك فيها أسلوبُ: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ...**»، وهذه البُداءة تقودُنا للبحث عن مُفتتَحات أحاديثِ الرؤى، وباستقراءِ طوالِعها بانَ للباحث أنّ ثمةَ مطلعَين يكثران عليها ويغلبان؛ هما: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ...**»، و« **رأيت في المنام...**».

المطلع الأول: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ».

جاء – فيما وقفتُ عليه – في تسعةِ أحاديثَ[٢]: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ**

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا**﴾ [مريم: ١٦]؛ رقم: (٣٤٤١)، ص٥٨٠، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال؛ رقم:(١٧١)، ص ٨٨

[٢] تُخرج الأحاديث في موطنها من البحث.

فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ...»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ...»، « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ...»، «... وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ...»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ...»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ...»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي...»، «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ...».

المطلع الثاني: « رَأَيْتُ فِي المَنَامِ».

جاء – فيما وقعتُ عليه – في ثلاثةِ أحاديثَ: « **رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ...**»، « **إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً...**»، « **رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الشَّعْرِ تَفِلَةً أُخْرِجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأُسْكِنَتْ مَهْيَعَةَ، فَأَوَّلْتُهَا فِي الْمَنَامِ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ...**».

وعدا هذين تنوّعَتْ مطالعُ أحاديثِ الرُّؤى؛ من ذلك: « **نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ...**»، « **رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ ...**»، « **أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ...**»، **حديث أم المؤمنين عائشة:« أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ...».**

نتَجَ عن هذا الاستقراءِ أنّ عبارة « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ...**» تكادُ تستحوذُ على رَيْعانِ أحاديثِ الرؤى؛ حيث شكَّلت مَعْلمًا رئيسًا في طوالِعها؛ مما نبّه البحثَ للوقوف معها – قدرَ ما يستطيع– وِقفة لُغويَّةً بلاغيّةً، يستبطِنُ مضمَراتِ خواطرها، ويَخبر مخبآت سرائرَها؛ ليتعرّف ما فيها من دلالات وإشعاعاتٍ جعلتها الأكثرَ حضورًا دون غيرها من الأساليب؛ من هذه الدلالات:

أولا: ما يسكنُها من براعة الاستهلال؛ ففيها إعلانٌ من أول وهلة عن طبيعة القول، ومقصودِ الكلام؛ فهو حديثٌ من عالم الأرواح العلويّ**!** و"إذا كان الابتداءُ لائقًا بالمعنى الواردِ بعده توفرت الدّواعي على استماعه." [1]

ثانيا: دلالة لفظ (بَيْنا)، وما يحويه من معانٍ تتناغى وسياق القول؛ فهو ظرفٌ للزمان الماضي، يلزمُ الإضافة إلى الجمل سواءً أكانت اسمية أم فعليةً، فيه معنى المُفاجأة، ويدل على المجازاة (الشرط)؛ فيحتاج إلى جواب يتم به المعنى.[2]

يلتقي مع (بينا) دلالةً (إذْ)؛ فهي ظرف

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ٩٨/٣ ط: دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

[2] ينظر: شرح الرضي على الكافية تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر١٩٥/٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي شرح وتحقيق: أ.د/ عبدالعال سالم مكرم٢٠١/٣/١، وما بعدها. ط: عالم الكتب، القاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، لسان العرب، مادة: (بين) ٦٦/١٣ ط: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ .

للزمان الماضي[١]؛ بيد أنَّها تتَعرّى عن دلالة (المفاجأة والشرط)، يلتقي معها – كذلك– (إذا)؛ ففيها معنى الشرط والفجاءةِ؛ لكنهما لا يتجمعان معها في آن واحد؛ إنما تكون لأحدهما! ثم إنها إذا كانت شرطيةً لا يليها غيرُ الأفعال، وإذا كانت فجائيةً لا يليها إلا الأسماء[٢]؛ ومن ثم انعدمَ حضورُهما في الأسلوب؛ فما ورد: (إذ أنا نائم، أو إذا أنا نائم)!

تحمِلُ (بينا) جمهورَ هذه المعاني! فلزامًا أن نسبرَ أغوارَها؛ كي نستطيعَ الوقوف على شيء من سرِّ إيثار أحاديث الرؤى في اصطفائه بُداءةً؛ الظرفيةُ الماضَوية إشارةٌ إلى وِعاء الزمن الذي وقع فيه الحدث، وتحديدٌ له، ثم إنها ليست ظرفيةً مجرّدة؛ إنما تُبصرها ظرفيّةً مُلتَبِسة بمعنى الفُجاءة والمجازاة، تأخذ بضَبعَيْ المتلقي، وتُطلِقُ عنه رِبقة السهو والغفلة، توقظه وتسترعي انتباهه لما يُقال له، أو يُقصُّ عليه! وهذا الطَرْقُ على سمْعه ليس قاصرًا على كلمة، أو جملة فيركَن بعدها! إنما هو طرْقٌ متتابع ممتَدٌّ امتدادَ المعاني؛ حتى تصلَ إلى نهايتها وذروتها؛ فسَرعان ما يُلقَى عليه الشرط، حتى يترقبَ الجوابَ الذي يأتي متوشحًا جُملا بسيطةً، متعاقبة بالفاء، تسلمه من عطف إلى وصف.. حتى يصل إلى نهاية الكلام وختام الرؤيا، وما غمضتْ عينُه، وما سها فؤاده!

من ناحيةٍ أخرى تُصوِّر (الفُجاءة والمجازاة) شأوَ المعنى وأهميته لدى المتكلم والمعلم ﷺ، ومدى حفاوته به؛ فعمَد إلى التقاط ما يوقظ المتلقي، ويطيلُ تيقظَه طَوال امتداد المعاني وتتابعها!

<u>ثالثًا</u>: قولُه ﷺ «**أَنَا نَائِمٌ**» جملةُ الشرط، والنحاةُ يقولون إنّ إضافةَ **(بينا)** تكون للجملة الاسميةِ والفعليّةِ؛ بيد أنّ البيانَ النبويَّ التزم الجملةَ الاسمية لم يحِد عنها! ثم إنّها اسميةُ الطّرفين؛ فلم يأتِ الخبرُ جملة فعلية (بينا أنا نمتُ، أو أنام)؛ وذلك لإنتاج دلالةِ الثُّبوت والاستقرار؛ فهل تتحقق الرؤى بمجرد نوم؟ إنما تكون عند تمكن النوم وثباته.

ثم إنّ إيثارَ التّعريف بالضمير «**أَنَا**» لما يُعطيه من معنى الخصوصية له ﷺ؛ فليس نومه ﷺ كنوم غيره؛ إنما تنام عينُه، ولا ينام قلبه، وليست رؤاه منامًا عاديًّا؛ إنما هي وحيٌ من الله سبحانه[٣]؛ فـ " أرواح الأنبياء لا تغلبها الأخلاط، ولا تجول حواسهم الباطنة في العبث، فما رؤياهم إلا مكاشفات روحانية على عالم الحقائق" [٤]؛ تنعكس هذه الدلالاتُ الكامنةُ في

---

(١) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تح: أحمد محمد الخراط ص٥٩ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت، الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ص١٨٥ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى١٤١٣هـ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: رصف المباني ص٥٩، الجنى الداني ص ٣٦٧، مصابيح المغاني في حروف المعاني لابن نور الدين، شرح وتحقيق: عائض بن نافع بن عبدالله العمري ص٨٤ وما بعدها. ط: دار المنار، مصر، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٥٧٩/٦

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠/ ٢٢، ط: دار سحنون، تونس١٩٩٧م

الضمير على مضمون الرؤيا، وما يأتي في حناياها؛ فهو متحققٌ وقوعُه، آكد ثبوته، لا يقربه شك، ولا تدنو منه ريبة؛ إذ إنه من وحي الله سبحانه.

رابعًا: جواب شرط (بينا) ترى فيه اصطفاءً لمادة: **(رأى)** دون (حلم)، وقد سبق بيان السر في ذلك[١]، ثم إنه يأتي على ثلاث صور: «**رَأَيْتُنِي.. إِذْ رَأَيْتُ.. رَأَيْتُ**».

الصورة الأولى: (رَأَيْتُنِي)، ترى في الفعل ضميرين؛ أحدهما فاعل والآخر مفعول، وكلاهما عائدٌ على شخص رسول الله ﷺ؛ فاتّحدَ فيهما الفاعل والمفعول، وهذا من خصائصِ أفعالِ القلوب؛ قال جارُ الله: " يُقال في أفعال القلوب (رأيتُني وعلمتُني)، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين " [٢]، وهو تركيبٌ ينبئ عن وثاقةٍ وتوكيدٍ للرؤيا، وله عُلقةٌ بالتأكيد في جملة الشرط: (أنا نائم)، وفارقٌ كبير بين ما تُحسه نفسُك معه، وبين أن يُقال: (بينا أنا نائم طُفت بالكعبة..)!

والصورةُ الثانية للجواب **(إذ رأيت)**، وتتعيّنُ (إذ) فيها لمعنى المفاجأة، " ولا تكون للمفاجأة إلا بعد (بينا)، و(بينما)؛ قال سيبويه: (بينا أنا كذا إذ جاء زيدٌ)، فهذا لما توافقه وتهجم عليه"[٣]، والمفاجأة هنا امتدادٌ لأداة الشرط (بينا) أي إنّ طرْق الفُجاءة ما زال متواصلا مستمرًا نفَسُه، طاغٍ على بناء الأسلوب! في حين تأتي **الصورة الثالثة** للجواب: **(رأيتُ)** مكتفيةً بمعنى تحقق الوقوع الناتج عن ماضوية الجواب، ويبقى لكلٍ مقاماته وسياقاته!

بعد هذا كلِّه يمكن الجهرُ بالقول: إنّ هذا المطلعَ يُعدّ أعلى طوالِعِ أحاديثِ الرؤى توكيدًا، وأشدها استدعاءً للمخاطب؛ يكشف عن ذلك – أيضًا – طبيعةُ المعاني التي سيقت معه، وأن الغالب عليها مما هو مستورٌ في عالم الغيبيات؛ لَمَّا يقع بعد؛ ومن ثم احتاج إلى علوِّ النبرة توكيدًا وتيقظًا!

وعودًا لرؤيا عيسى عليه السلام تُبصِر بناءها قائمٌ على أسلوب المقابلة بين ما عليه حال عيسى عليه السلام من النضارة والحسن، وما عليه الدجال من سماجة وقبح! " فالإله لا تجُوز عليه الآفات، وهذا مُدَّعيها وقد جازتْ عليه الآفة؛ فهي برهانٌ على تكذيبه." [٤]

وإذا تبصَّرنا جُزأي المقابلة ألفينا تكوينَهما منسولا من أسلوب الحوار؛ فرسولُ الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة يقع بصرُه على شخصين، يرى أوصافهما، ويتحقق منهما، لكنه لا يعرفُهما؛ فيسأل، ويُجاب عن سؤاله؛ فتُبصِرُ ثمّةَ تغايرًا في جزأي المقابلة بين بداءة كلٍّ منها ونهايته؛

---

[١] ينظر: تمهيد البحث.

[٢] الكشاف للزمخشري تح: محمد الصادق قمحاوي ٢٧١/٤، ط: مصطفى الحلبى، مصر، الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ، وانظر: الكتاب تح: عبد السلام هارون ٣٦٨/٢ ط: الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ، التحرير والتنوير ٤٤٥/٣٠

[٣] الجنى الداني ص١٨٩، وانظر: الكتاب ٢٣٢/٤

[٤] شرح صحيح البخارى لابن بطال تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ٥٤٦/٩، ط: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض ط: الثانية، ١٤٢٣هـ، ط٢٠٠٣م

تلمس تنكيرًا وإبهامًا يسيطر على البداءة «**رَجُلٌ آدَمُ، رَجُلَيْنِ.. رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ**»، وتعريفًا وتوضيحًا في نهاية مشهد الرؤيا «**ابْنُ مَرْيَمَ، الدَّجَّالُ**».

وجاءت **(الفاء)** لتنسجَ الجملَ، وتربطَ بعضَها ببعضٍ، تُسلِّمُ الأولى للثانية، والثانية للثالثة، وهكذا...؛ فأصبحتْ جُمَلُ الحديث متعانقةً أبعاضُها، متعلقةً أجزاؤها، متتابعة متوالية في نفَس واحد؛ وكأنها جملة واحدة لا تحتمل الوقوف عن أحد ركنيها!

وحقيقةُ الأمر أنك ستجد صحبةً ومُخادنة بين جملِ أحاديثِ الرؤى، وحرفِ العطف **(الفاء)**، وهي صحبة أصيلةٌ موثقة العرى؛ حيث تعدم لهما أن يتهاجرا سوى في القليل النادر! ولعلّ أواصرَ الإلف بينهما تكمن في طبيعة مجيء المعاني مع الرؤيا من ترتيب وتعقيب، أو تسبب.. وكلها معانٍ أقامت وسكنت حرف الفاء!!

«**رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ**» إيثارُ صيغة المضارع «**أَطُوفُ**» لاستحضار حالة الرؤيا العجيبة، واستدعاء الفُجاءة مرة أخرى، ومجيئها معطوفة بالفاء «**فإذا**»، والأولى عندي أن تكون عاطفة تفيد معنى السببية، وليست زائدة؛ فـ" لا يحسن إسقاطُها؛ ليسهل دعوى زيادتها"[١]، أي: طُفت فتسبب عنه أني رأيت رجلا «**آدم سَبْطُ الشَّعَرِ...**»، وتأمل دقة الأوصاف، وتنوعها، وتعددها، واستحضارها بصيغة المضارع « **أَطُوفُ.. يُهَادَى .. يَنْطُفُ رَأْسُهُ أَوْ يُهَرَاقُ**»؛ وكأنّنا في دنيا الرؤية، لا في عالم الرؤى!!

ورؤيا هذه الأوصافِ التي تسبَّبت عن طوافه ﷺ، سلَّمتْنا لجملة استفهامية معطوفةٍ بالفاء «**فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟**» والاستفهامُ باقٍ على حقيقته، وأصل وضعه اللغوي، ولم يأتِ تعريف من سألهم، أو بيان جنسهم؛ فهو مما لا يتعلق به مقصود القول، فطُرح من الكلام، واكتُفي عنه بالضمير في الجواب «**قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ**».

ومألوفُ استعمال العرب في هذا الأسلوب أن يُحذفَ المسندُ إليه في الجواب؛ فهو معلومٌ من السؤال، لا حاجةَ إليه، ومن أجل أن ينصرف الذهن إلى المسند؛ فهو محطُّ الفائدة، ومناط الاهتمام! لكن ما جاء عليه بيانُ النبوة من ذِكر المسند إليه، وإيثار طريق الإشارة «**هَذَا**» هو الأولى بمقام وروده؛ فمدارُ الرؤيا على تمييز نبيٍّ من مُدَّعٍ ألوهيةٍ!! ومن ثم فذِكر المسند إليه، وإيرادُه اسم إشارة لإفادة كمال التقرير والتعيين، وتمييز المسند إليه أكمل تمييز ؛ بعدم وجود فرضية شك أو احتمال، وهذا التمييزُ بادٍ في اصطفاء الكنية «**ابْنُ مَرْيَمَ**» دون الاسم أو اللقب؛ فبها يحصل التمييز، وتتحقق التفرقة.

والإمام البخاريُّ – طيّب الله ثراه – له فقهٌ عالٍ في تخيُّر الرواية المتوائمةِ مع ترجمته؛ فهذه الروايةُ التي أُكتفي في الجواب بالكنية مع عيسى عليه السلام «**ابْنُ مَرْيَمَ**»، وباللقب مع «**الدَّجَّال**» أوردَها واكتَفَى بها وحدَها في كتاب:

---

[١] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تح: محمد محي الدين عبدالحميد ١/١٦٧، ط: محمد علي صبيح وأولاده، ومطبعة المدني بالقاهرة، د. ت.

(الفتن)، باب:(ذكر الدجال)[(١)]؛ فترجمةُ الباب معقودةٌ لذكر دقائقِ صفات الدجال! ففيهما التعريف المُمَيّز، وبهما – دون ذكر (المسيح) – يندفع إشكال الإبهام، ومن خلالهما يكون مأتى التفرقة؛ وثمة رواية[(٢)] اجتمع في الجواب الكنيةُ واللقب «**الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**»، واللقبان «**الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**» أوردها في الأبواب الأخرى[(٣)]؛ فهي تعني بيان كمال الأوصاف، واستيعابها جميعها؛ فليس سياق الترجمة معقودًا لبيان مواطن الافتراق والاختلاف!

ويأتي الطرف المقابل في الرؤيا، وتراه على حذو الأول، موازيًا له نسجًا وأسلوبا! ترى استحضار الحدث «**أَلْتَفِتُ**»، وما تسبب عن الالتفات مقترنًا بالمفاجأة «**فَإِذَا رَجُلٌ...**»، وتعدد الأوصاف ودقتها بما لا يدع طائفًا من شك «**أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى...**»، وسؤاله ﷺ عن صاحب هذه الأوصاف؛ فهي على النقيض من الأوصاف الأُول «**قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟**»، ومجيء الجواب مصحوبا بتمييز صاحب هذه الصفات أكمل تمييز، وتعريفه بوصفه لا بلقبه «**قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ**».

ويبقى لهذا الطرف من خصوصية المقابلة؛ –اتقاءً فتنةَ الدجال– بتشخيص هيئته (**جزءًا**) بتشبيه عينه بالعنبة الطافية؛ " أي ناتئة مرتفعة نتوء حبة العنب من بين أخواتها، أريد بها جحوظ عينه الواحدة؛ ومعناه أنها ممتلئة قد طفت وبرزت من طفا الحوت الميت على الماء إذا ارتفع فوقه. وقد روي (**طافئة**) بالهمز من طفئت النار إذا انطفأت وانخمدت أي قد ذهب ضوؤها وتقبضت "[(٤)]، وتشخيصه (**كُلاًّ**) بتشبيهه بإنسان معروف «**ابْنُ قَطَنٍ**»، والتشبيهان معقودان لبيان حال المشبه، وزيادة إيضاح وصفه؛ نستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال.

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الفتن (٩٢)، باب ذكر الدجال(٢٦)، حديث (٧١٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٤٤٠)

(٣) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾ [مريم: ١٦]، رقم:(٣٤٤٠)، كتاب: اللباس، باب: الجعد، رقم:(٥٩٠٢)، كتاب: التعبير، باب: رؤيا الليل، رقم: (٦٩٩٩).

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرمي٢٢٧/٤ ، ط: دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط: الأولى١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

٢- (رؤيا أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في سَرَقَة من حرير)

عن عائشةَ ﵂ أن النبي ﷺ قال لها: «**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ؛ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ.**» [1]

تُبصرُ بداءةَ الرؤيا «**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ**» غيرَ منضويةٍ على قعقعة الفجاءَة أو الشرط! فهي رؤيا بيان فضل أمِّ المؤمنين عائشةَ ﵂ والحديثُ معها! بيد أنك لا تعدَم براعةَ الاستهلال التي يُناخ بها طبيعةُ القول؛ فهي بداءةٌ هادئة ساكنة، ثم إنها اكتنزت المعنى وأجملته، وأبهمته؛ فما جاء بعدها منسولٌ منها، مُعلِنٌ عنها!

الحديثُ تكوّن من ثماني جملٍ؛ بسيطةٍ قصيرة؛ تراها تعانقتْ من داخلها وتشابكت، وشكّلت جبهة واحدة، لا تستطيع تجزئتها؛ إنما تأخذها دفعة واحدة دون تمهل أو تريث!

التقطتْ أحداثَها صيغةُ المضارع، وشخّصتها حيّةً نابضة أمام أمِّ المؤمنين؛ وكأنها لا تُخبَر عنها إنما تُبصِرها وتشاهدُها، لا يغيب شيء منها! «**أُرِيتُكِ.. أَرَى.. وَيَقُولُ.. فَأَكْشِفُ.. فَأَقُولُ.. يَكُ.. يُمْضِهِ**»، قامت (الفاءُ) بدور ملاحقة الحدث وترادفه «**..هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ..**»، تزاحمَت وتوزّعت على مدارها ضمائرُ أم المؤمنين؛ حيث وردت ستّ مرات.

«**أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ**» تكرّر فعل (الرؤيا)، ودخل على الجملة الاسمية المصدرة بـ(إنّ) توكيدًا للخبر «**فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ**» لفضله وغرابته؛ أي في قطعة من جيّد الحرير[2]، وهذه الرواية للبخاري أوردها في باب: (تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها)، وله رواية أخرى: «**إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ**»، خصّها بباب: (نكاح الأبكار)[3]، ولعل صنيعَه ناظرٌ إلى ورود لفظ **(رجل)** بها، وفي ذلك إشارة إلى دور الولي؛ خاصة في نكاح البكر!

«**وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا**» عبّر بلفظ (امرأة)؛ دون (زوج)، فما قيل:(هذه زوجك)؛ لأنّ الزواج وقت الرؤيا لمّا يقع بعد! وهو تعبيرٌ مستقًى من لغة البيان القرآني؛ فلا يطلق لفظ (زوج) إلا إذا كانت الزوجية قائمةً، ولا يشوبها ما يُعكِّر صفوها؛ " فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقدية، فامرأة لا زوج" [4]. «**فَأَكْشِفُ عَنْهَا**»

---

[1] صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، وقدومها المدينة، وبنائه بها؛ رقم:(٣٨٩٥)، ص٦٥٥، وصحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فِي فَضْلِ عَائِشَةَ، أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها، رقم(٢٤٣٨)، ص١٠٧١ ط: دار السلام، الرياض، ط: الثانية١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي ٣٦٢/٢ ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

[3] صحيح البخاري؛ رقم: (٥٠٧٨)، ص٩٠٨

[4] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص ٢٣٠، وانظر: دراسات جديدة في إعجاز القرآن

الضميرُ يعود على (السَّرَقة)؛ أي أكشفها عن الوجه[1]، وروايةٌ في الصحيحين «**فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ**» خصّها البخاري بباب: (النظر إلى المرأة قبل التزويج)[٢]؛ وكأنّ ذلك منه إشارةٌ إلى وجه المناسبة بينها وبين الباب؛ فالوجه هو موطن النظر، وموضعه!

«**فَإِذَا هِيَ أَنْتِ**» وهنا تأتي الفجاءةُ، وهي فُجاءة حاصلة في تصوير الحدث، وليست فجاءةً تطرق سمع المخاطب! والرواياتُ تنوّعت بتبادل ضميري (الغيبة والخطاب) مواقعَهما، والمعنى يتنوع في الحالين، وله طعومٌ ومذاقات غير ما يكون على صورة واحدة! أحسبُ أنّ رواية «**فَإِذَا هِيَ أَنْتِ**» موافقةٌ حالَه ﷺ في رؤياه؛ فالحكم حينئذٍ كان واقعًا على ما رآه في السرَقة؛ فهو المسند إليه، أما روايةُ «**فَإِذَا أَنْتِ هِيَ**» معتبرٌ فيه حالُ أم المؤمنين؛ فالمراد منه الحكم على المخاطبة بأنها هي ما في السرقة.[٣]

وقولُه ﷺ: «**إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**» رؤيا الأنبياء وحيٌ، ومع ذلك أجمعت الرواياتُ على مجيء التعليق بالشك، وطرح اليقين! والمعنى – لا ريب– على التحقيق؛ لكن لفظه جارٍ على أسلوبِ (**سوق المعلوم مساق غيره لنكتة**)؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ** ﴾ [يونس:٩٤]، وفي العدول إليه إلماحٌ إلى أنه ﷺ لا دخل له فيه، وليس ذلك باختياره وفي قدرته.[٤]

مناهج تطبيقية في توظيف اللغة د. عبدالعظيم إبراهيم المطعني ص١٦٠، وما بعدها، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[1] ينظر: فتح الباري لابن حجر ٩/ ١٨٢

[٢] صحيح البخاري؛ رقم: (٥١٢٥)، ص٩١٦، وصحيح مسلم رقم(٢٤٣٨)، ص١٠٧١

[٣] ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١٩/ ٩٤. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط: الثانية: ١٤٠١هـ ١٩٨١م

[٤] ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٢٤/ ١١٧، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم تح: د. يحيى إسماعيل٧/٤٤٥ ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٣- **(رؤيا قصر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- في الجنة)**

وقفتُ على أربعِ رؤًى في حقِّهِ ﷺ أبرزَت جوانبَ من سجاياه ومنزلته؛ مع تضمنها إشاراتٍ لأمورٍ غيبيةٍ أخرويَّةٍ؛ ثلاثة منها مؤولة يرجئها البحث لموطنها، وواحدة غير مؤولة يقف معها بالشرح والتحليل؛ يتوسم شارة بنائها، ويتعرّف سمت خصائصها.

عن أبي هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**» [١]

الرؤيا لقصره ﷺ في الجنة، وبيانٌ لغَيْرَته، وإخبارٌ عن رفعة منزلته! صدارتُها بأقوى الطّوالعِ «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي**»؛ وهي صدارةٌ تلتقي فيها الرؤى الأربعة؛ إذ إنّ فيها إنباءً عن أمور أخروية؛ لمّا تقع بعد! هي من علامات نبوته ﷺ؛ كذلك فيها إعلامٌ عن أمورِ غيبٍ، وقع الخُلْف فيها وإنكارها؛ كما في هذه الرؤيا، «**رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ**».

فارقٌ كبير بين ما عليه حركةُ المعنى في بيان النبوة، وأن يُقال: (رأيت الجنة، فإذا امرأة..، أو رأيت امرأة تتوضأ في الجنة..)؛ فما عليه البيانُ العالي خبران، لا خبر واحد! أنه ﷺ داخِل الجنة، وأنه حينئذٍ أبصر فيها امرأةً بهذا الوصف، وهذا البناءُ فيه من قوة الدلالة على خَلْق الجنة ووجودِها؛ فما جاء الخبرُ بوصف مشاهدتها – وهو كافٍ – إنما جاء أنه ﷺ دخلها، ووطئتها قدماه! وهذا التحليل يُفسِّر ذكرَ البخاري الحديثَ في كتاب: (بدء الخلق)؛ باب: (ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)؛ فقد نازع في ذلك الجهميَّةُ، والمعتزلة، والخوارج؛ وقالوا: إنّ الجنةَ والنار غيرُ موجودتين، بل ينشئهما الله يوم القيامة، وهو خلاف ما أجمع عليه أهل السنة من أنّ " الجنة والنار موجودتان الآن، مُعدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول ﷺ."[٢]

«**فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ**» **(إذا)** الفجائيةُ يَتنادَى مجيئُها في أحاديثِ الرؤى، وتُمثل معْلمًا ينماز به سمتُ بناء الأحاديث؛ بلْهَ جوابَ **(بينا)** فهي فيه جاريةٌ، لا تكاد تغيم أو تغيب؛ ومن ثم تستوجب وِقفةً متأنية – قدر المستطاع – تُحرِّر القولَ في ماهيّتها، وتكشفُ عن طبيعةِ مدخولِها.

هي لا تقعُ صدرَ كلامٍ، ولا تكون إلا للحال، ولا تحتاجُ إلى جواب، ولا يليها إلا الجملةُ الاسمية[٣]، ويذكرُ البلاغيون أنّ خبر ما بعدها

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة؛ رقم:(٣٢٤٢)، ص٥٤١، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه؛ رقم: (٢٣٩٥)، ص١٠٥٤

[٢] النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير تح: محمد أحمد عبد العزيز ٣٩٣/٢ ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

[٣] ينظر: الجنى الداني ص٣٧٢، ٣٧٣، مغني اللبيب ٨٧/١

يكون دائمًا محذوفًا؛ لنكتةِ الاحترازِ عن العبث، أو العدول إلى أقوى الدليلين مع اتباع الاستعمال! [١]

قلتُ: ما رنّت وصدعت به كتبُ البلاغيين من أنّ ما بعدها مسندٌ إليه حُذف خبره؛ مبناه على القول بحرفيتها، وقد غاب عنهم – فيما يبدو – أنّ ثمةَ قولين آخرين يَكسبانها الاسميةَ؛ بجعلها ظرف زمان، أو ظرف مكان[٢]؛ وعليهما تكون خبرًا مقدمًا، والاسمُ المرفوع بعدها مبتدأ مؤخرًا، وليس ثمة حذفٌ، ولا احترازٌ عن عبث!!

والقولُ ما قال السياق! لا التحجُّر عند قول واحد، وما يترتب عليه؛ فقد يكون الزمان أو المكان منوطًا بهما المباغتة والمفاجأة؛ كمدخولها سواءً بسواء! وقد تكون المباغتةُ لمدخولها وحصوله وحدَه؛ دون اعتداد بزمانه أو مكانه؛ وهذا هو مَفصِلُ دلائلِ الإعجاز!

وإذا تأملنا مطاوي الحديث ألفينا الظرفيَّةَ المكانيّةَ لها بروزٌ في سياق الرؤيا؛ سيما والقول أنّ المراد بالمرأة (أمُّ سُلَيْم) والدة أنس ﷺ، وقد جاء ذلك في إحدى الروايات[٣]؛ قال القاري:" كانت هذه المرأة أم سليم، وكانت في قيد الحياة حينئذ، فرآها النبي في الجنة إلى جانب قصر عمر، رضي الله تعالى عنه، فيكون تعبيرها أنها من أهل الجنة ... وأما كونها إلى قصر عمر؛ ففيه إشارة إلى أنها تدرك خلافته، وكان كذلك."[٤]

فالنبي ﷺ فوجئ في هذا المكان بوجود (أمِّ سليم)؛ فكانا معًا مناطَ الفجاءة والاستغراب! وليس موطن الفُجْأة إبصارها وحدَها بمعزل عن مكانها! يُعضد ذا مجيءُ لفظِ (المرأة) معتمَد الفجاءة، وما بعدها أوصاف لها، وما جاء الكلام على اعتماد (القصر)؛ فما قيل: (فإذا قصرٌ تتوضأ امرأة بجانبه)؛ فليس رؤية قصر في الجنة موطنَ فُجاءة أو استغراب.

وأما على القول بأن " هذه الرؤيا مما تُخرّج على حسَب ما رُؤيت بغير رمز، ولا غموض تفسير، والجارية كذلك" [٥] فالمباغتة جاريةٌ على حصول وجود الجاريةِ؛ دون شيء آخر يُعتدُّ به في المفاجأة؛ والمعنى: ففاجئني وجود امرأة؛ وعليه فما بعد (إذا) مبتدأ، محذوف الخبر.

«**تَتَوَضَّأُ**» الأولى أنه من الحُسن والوضاءة؛ أي تتلألأُ حسنا وجمالا، وليس من الوضوء؛ فليست الجنة دارَ تكليف![٦] «**فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» يحضر أسلوبُ الحوار القائم على السؤال والجواب، وليس ثمة عنايةٌ لمن وُجّه إليه السؤال، وكان منه الجواب؛ فليس في ذلك كبير فائدة، وقد مرّ قبلُ، ثم إنّ التّعريفَ والبيان يحضران في نهاية مشهد الرؤيا «**فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**»؛ في

---

(١) ينظر: شروح التلخيص٢/٦، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، الإيضاح ١/٢/١٠٥

(٢) ينظر: الجنى الداني ص٣٧٤، مغني اللبيب ١/٨٧

(٣) صحيح البخاري؛ رقم:(٣٦٧٩)، ص٦١٨

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بتصرف٢٤/ ١٥٨، وانظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٢٣/٤٠٥

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٥٤٣

(٦) ينظر: فتح الباري ١٢/٤٦٠، شرح صحيح البخارى لابن بطال ٩/٥٤٣

حين كان التنكير يسكن بداءتها؛ «**امْرَأَةٌ .. قَصْرٍ**».

وترى التعقيب – كما هو معلوم– يستحوذُ على وصل الجمل ونسجها، «**فَإِذَا .. فَقُلْتُ.. فَقَالُوا.. فَذَكَرْتُ .. فَوَلَّيْتُ .. فَبَكَى**»، مما ترتب عليه تلاحم المعاني، وتدفقها؛ دون تمهل فيها أو تريث؛ حتى تصل بك إلى نهايتها.

«**فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ**» أفصحت الفاءُ عن محذوف؛ تقديره: فأردت أن أدخله، فذكرت «**غَيْرَتَهُ**» هذه رواية البخاري، وعند أحمد[١] «**فَذَكَرْتُ غَيْرَتَك**»، وعند مسلم وابن حِبّان[٢] «**فَذَكَرْتُ غَيْرَة عُمَر**». روايةُ أحمد فيها عدول عن الغيبة إلى الخطاب، ورواية مسلم وابن حبان فيها عدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر، وهذا العدول يعكس حَمِيّ غيرته[٣] ﷺ الذي ترتب عليها فعلُه ﷺ: «**فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**» فجاء مقيدًا بالحال المؤكد لعامله؛ أي ذهبت جاعلًا دبري إلى جهة القصر.

«**فَبَكَى عُمَرُ**» حُذف متعلق البكاء اتساعًا للمعنى، وتحملًا لأكثرَ من وجه؛ أي: سرورًا، أو تشوقًا، أو خشوعًا[٤].

أما قوله: «**أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**» فالشُّراحُ فيه على ثلاثة أوجه؛ أنّ الكلامَ جارٍ على أسلوب القلب، أو أنّ **(عليك)** غير متعلق بـ**(أغار)**؛ والتقدير: مستعليا عليك أغار عليها، أو أن **(على)** بمعنى (من). [٥]

والأوجَهُ عندي أنّ الكلامَ فيه جارٍ على صورة أسلوب القلب، وليس حقيقةً أسلوبَ القلب؛ جاء على صورته، لكن ليس منه! فما تعمّد الفاروق في كلامه هذا التركيب وما استجداه! ما ترقّب هذا الأسلوبَ – في هذه الحال التي هو عليها – إنما خرج الكلامُ منه دون قصد أو طلب؛ فهو من قبيل قول الأعرابي: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ**»[٦]، مع تباين المقام في كلّ.

وذا يُجسّدُ ما انتابه ﷺ من شدة حزن ووجْد حين سماعه صنيع رسول وتوليه لِما علمه من غيرته؛ ومن ثم فهذا يُنبئ عن أن حزنه بلغ غايته، ووصل إلى مداه؛ مما جعله لا يستطيع إقامة كلامه على الوجه المُناط به؛ وهذا كلُّه يعكس صدق محبته وعلوها لرسول الله ﷺ.

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ١٧٧

(٢) صحيح مسلم؛ رقم:(٢٣٩٥)، ص١٠٥٤، صحيح ابن حبان تح: شعيب الأرناؤوط؛ رقم:(٦٨٨٨) ١٥/ ٣١١ ط: مؤسسة الرسالة.

(٣) كما ورد عند الإمام مسلم، أنه ﷺ استأذن على رسول الله ﷺ ، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ.**» صحيح مسلم؛ رقم: (٢٣٩٦)، ص١٠٥٥

(٤) ينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٢٣/ ٤٠٣

(٥) ينظر: عمدة القاري ٢٤/ ١٥٨

(٦) جزء من حديث في صحيح مسلم؛ رقم:(٢٧٤٧)، ص١١٩١

٤- (رؤيا دَفّ نعلَيّ بلال -رضي الله عنه- في الجنة)

عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ.**» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.[١]

الرؤيا بيانٌ لفضلِ بلال ﵁، وأن الصلاة أفضل الأعمال بعد الإيمان.. وفيها دليلٌ على أن الله -تعالى- يعظم المجازاة على ما يسر به العبد بينه وبين ربه مما لا يطلع عليه أحد.[٢]

الحديثُ قائمٌ على سؤالٍ وجواب من طريق جملتين مركبتين؛ سؤال رسول الله ﷺ وفيه بيان الرؤيا، وجواب بلال ﵁ وبالتأمل في أعطافهما ترى أنهما أقربُ ما يكون شبهًا بحديث رؤيا أمّنا عائشة ﵂ في سرَقة من حرير! ألفاظهما رهوة، ساكنة، وادعة! وتركيبهما ناءٍ عن قعقعة شرط وفجاءة؛ تراهما سهل الملتمَس، وأرقّ من أعطاف النسيم! ولمَ لا يكون لهما هذا الشأن، والكلام عن طاعةٍ في سر وخفاء؟!

[١] صحيح البخاري، كتاب: التهجد، باب: فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار؛ رقم: (١١٤٩)، ص١٨٤، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل بلال رضي الله عنه؛ رقم:(٢٤٥٨)، ص١٠٨١.

[٢] ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري٧/٢٠٧

<u>الجملة الأولى: (سؤال رسول الله ﷺ).</u>

<u>«يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ.»</u>

كلامُ رسول الله ﷺ جاء في هيئة سؤال؛ مصحوبًا بعلّته، تقدّم بين يدَيه جملة النداء «**يَا بِلَالُ**»؛ فكانت بمثابة المِهاد والتوطئة للسؤال بعدها، وهو نداء تحبُّب وتكريم، جاء بأداة البعد، مُعلنًا عظم المنزلة، ورفعة الدرجة التي رآها رسول الله؛ فكأن نداء البعد يعني: يا صاحب هذه الرفعة والمكانة حدثني..

«**حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ**» لم يأتِ الاستعلامُ بطريق الاستفهام الذي هو "عمدة أنواع الطلب" [٣]؛ فما قيل: (يا بلالُ ما أرجى عمل..؟) إنما جاء بطريق الأمر، وبمادّة (التحديث) دون غيرها؛ كأن يقال: (أخبرني بأرجى..).

لعلّ مجيء الطلب بالأمر، وإيثاره مادّة (**التحديث**)؛ لعل ذلك لإنتاجِ دلالةِ الاتساعِ في الجواب، والامتدادِ في الحديث، وإطالةِ نفس الكلام، وليس مجرد سؤال يكون له جوابٌ على حذوه وقدره! إنّ المادةَ تعطي إيحاءً بالإطالة والإشباع؛ وتأمل ما تنتهي عنده (حرف الثاء)، وما فيه من صفة التفشي، التي تعني الاتساع والانبثاث والانتشار؛ بسبب انبساط مقدَّم اللسان عند النطق به، [٤] وأيُّ مقام أحق باستفاضة

[٣] شرح المرشدي على عقود الجمان١/١/١٧٤.

[٤] ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. مكي بن أبي طالب القيسي تح: أحمد حسن فرحات ص١٣٤، ط: دار عمار، ط: الخامسة، ١٤٢٨هـ

القول، وسكون الجوارح له من هذا المقام؟!

دعْ عنك أنّ الخبر قولٌ يصح وصفه بالصدق والكذب، وأصله أن يكون إخبارًا عن الغير، أما الحديث فالأصل فيه الإخبار عن النفس لا عن الغير، وسُمِّي حديثا؛ لأنه لا تقدم له، وإنما هو شيء حدَث لك فحدَّثت به.(١)

«بِأَرْجَى عَمَلٍ» الإسنادُ هنا يعين – كذلك – على سرِّ إيثار «حَدِّثْنِي»؛ قال ابن حجر: "وإضافة العمل إلى الرجاء؛ لأنه السبب الداعي إليه" (٢)؛ فالأصل في رجاء الثواب أن يكون من صاحب العمل؛ لا من العمل نفسه!! وعليه فالكلام جارٍ على المجاز العقلي بعَلاقة السببية؛ والمجازُ يكشف عن فضيلة أصل قبول الأعمال (الإخلاص)، فإذا خلَص العمل، وبعُد عن أيّ شائبة رياء أو سمعة صار وكأنه الذي يرجو الثواب، وليس صاحبه! تأمل «بِأَرْجَى»، وليس مجرد طلب! وقد ثبت هذا المعنى في مسند أحمد عن عبدِ الله بن عمروٍ ﷺ ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبدِ يومَ القيامةِ، يقول الصيامُ: أي ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوةَ، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النومَ بالليل، فشفعني فيه، قال: فَيُشَفَّعان.**» (٣)

«**عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ**» قيْدُ الإسلام إعلانٌ عن الأصل لقبول العمل عند الله؛ أن يكون عملا من مسلم؛ فقد يكون لبلال من أعمال الخير قبل إسلامه، فهذه ليست من مقصود السؤال، وغاياته.

والشقُّ الثاني في كلامه ﷺ «**فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**» يحوي رؤياه في منامه، وقد وقعت الرؤيا موقعَ التعليل للطلب، وجاء بناؤها على الأسلوب الكنائي؛ فما قيل: (رأيتك في الجنة)، إنما كنى عن وجوده في الجنة بالإخبار عن سماع صفة مِشيته، وهذا – لا شك – أقوى وآكد وأبلغ في الإثبات؛ إذ جاء الإخبار بوجوده مقرونا بدليله ولازمه؛ أو كما قال شيخُ الصَّنعةِ: " أوجَبْتَه إيجابًا هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ."(٤)

والرؤيا في ثَوْبها الكنائي نراها صُدِّرتْ بالتعقيب والتعليل «**فَإِنِّي**»، " والأصوليون يذهبون إلى أنه إذا سَبقت (الفاءُ) (إنّ) فالدلالةُ على التعليل تكون أقوى وآكد؛ لاجتماع رافدين من روافد العليّة (الفاء، وإن)، وكلٌّ منهما يمنح التعليلَ من دلالته الوضعية عنصرًا دلاليا آخر غير الذي يعطيه الآخرُ؛ فـ(الفاء) تُشرب التعليل معنى التعقيب؛ مثلما تشرب (إن) التعليل معنى التأكيد." (٥)

«.. **دَفَّ نَعْلَيْكَ**» إذا كانت العرب قد نبغتْ

٢٠٠٨م، المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن حسن جبل ص٦٨ ط: مكتبة الآداب ط: السادسة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

(١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري ص٤٠ ،٤١

(٢) فتح الباري ٣٤/٣

(٣) مسند أحمد ١٩٩/١١

(٤) دلائل الإعجاز ص ٧١

(٥) سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة دراسة منهجية تأويلية ناقدة أ.د/ محمود توفيق محمد سعد ص٢١٤، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

في تتبُّع آثار الأقدام، والأخفاف، والحوافر، وتستدل بها على ذويها فيما عُرِف عندهم بعلم **(القيافة)** [١]؛ فإن من كرامة بلال ﷺ أنّ رسول الله ما رأى في الجنة آثار أقدامه فحسب؛ إنما سمِع آثارَها، وصوت مِشْيَتها!

والرواياتُ تعاقبتْ على ثلاثة ألفاظ؛ «**دَفَّ نَعْلَيْكَ**»، وهي رواية البخاري، و«**خَشْفَ نَعْلَيْكَ**» لأحمد ومسلم، و«**خَشْخَشَةً**» لابن حِبّان. [٢]

و(**الدّفُّ**): الحركة الخفيفة، والمراد حَسِيسُهما عند المشي فيهما، أُخذ من دفيف الطائر إذا أراد النهوض قبل أن يستقل، وأصله ضربه بجناحيه جنباه فيسمع لهما حسيس.[٣] و(**الخشْفة**): الحس والحركة، وهو صوت ليس بالشديد[٤] و(**الخشخشة**): صوتُ السِّلاح.[٥]

[١] ينظر: لسان العرب، مادة: (قوف) ٢٩٣/٩، قصة الأدب في الحجاز د. عبد الله عبد الجبار، د. محمد عبد المنعم خفاجى ص: ٢٢٠، ط: مكتبة الكليات الأزهرية.

[٢] مسند أحمد ١٢٩/١٤، صحيح ابن حبان ٥٦٢/١٥

[٣] ينظر: غريب الحديث للخطابي تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ٤٣٩/١، ط: دار الفكر، دمشق١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري ٣٥٩/٤، ط: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط: الثالثة١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

[٤] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٢/ ٣٤، لسان العرب، مادة:(خشف)، ٦٩./٩

[٥] ينظر: المخصص لابن سيده تح: خليل إبراهم جفال ٤٧/٢، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، النهاية في غريب الحديث والأثر٣٣/٢

وإذا توقفنا أمام هذه الروايات ألفيناها – فيما يبدو – جسَّدت مراحل حركة المِشية ابتداءً وانتهاءً؛ فالمشيةُ في بدايتها يكون صوتُها خافتًا هادئًا، في حين يعلو ويرتفع صوتها كلما اعتدل الإنسان، واستقام في مشيته!

ويمكن النظرُ في التوجيه من ناحيةٍ أخرى؛ من وجهة طبيعة عمل بلال، وما كان لذلك من عظيم الأثر عليه؛ فاللفظة الأولى والثانية «**دَفَّ .. خَشْفَ**» تحكيان أصل ما كان عليه بلال في عمله من خبيئة وسرّ، في حين تدل الثالثة «**خَشْخَشَةً**» على أثر ذلك عليه، وأنه كان سلاحه للجنة، و" إدامة الطهور سميت بسلاح المؤمن؛ لأن الشيطانَ يأنس من النجاسات والألواث، ويَنْفِرُ من الطهارة." [٦]

<u>الجملة الثانية: (جواب بلال – رضي الله عنه –)</u>.

«**قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.**»

استعلنَ في بناءِ جملةِ جوابِه معنيان؛ هما: (التوكيد، والعموم)، ولهما دورٌ كبير في تصوير أثر وقْع الجزاء على بلال، وانعكاسه عليه، وأنه ﷺ قد استعظم هذا الأجر الكبير على ما كان يرجوه، ويؤمله من عمله!

التوكيدُ في بناء كلامه يعكس قوّةَ إلحاحه على المعنى؛ بأن هذا هو العمل الذي كان

[٦] فيض الباري على صحيح البخاري أمالي محمد أنور شاه تح: محمد بدر عالم الميرتهي ٥٦٩/٢، ط: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

محافظًا عليه، قائمًا به، تراه يلوح في بناء الجواب على أسلوب القصر، وبأعلى طرقه (النفي والاستثناء)، وهو قصر حقيقي تحقيقيٌّ؛ أي: ليس ثمة عمل أرجى عندي من ذلك، وتتناثَر المؤكدات داخل جمله؛ بالمفعول المطلق المؤكد لعامله «**مَا عَمِلتُ عَمَلًا**»، «**أَتَطَهَّرْ طُهُورًا**»، والتوكيد بـ(إنّ) «**أَنِّي لَمْ**.. »، والعدول إلى الاسم الظاهر «**إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ**».

والعمومُ يعكِسُ دوامَه عليه في جميع الأحوال والأزمان! تراه في تسليط النفي على النكرة «**مَا عَمِلْتُ عَمَلًا**» أي: ليس عندي عمل أرجى من هذا، وإيثارِ لفظِ «**طُهُورًا**»، والعدول به عن أن يقال: (أني لم أتوضأ وضوءًا.. أو: أغتسل.. أو: أتيمّم..)، ومجيئه بصيغة التنكير؛ ليعم بذلك جميع أحوال طهوره.

دع عنك تنكير «**سَاعَةٍ**»، وإضافتها لـ«**لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»؛ ليعمّ بذلك الزمان، والعمومُ فيه إما أن يكون على حقيقته؛ " فيدل على جواز هذه الصلاة في الأوقات المكروهة " [(١)]، أو يكون العموم مجازًا من إطلاق الكل وإرادة الجزء؛ فتُستثنى هذه الأوقات [(٢)]، وهو اختلاف فقهيٌّ ترتب عليه اختلاف بيانيٌّ! وطالما اختلف الفقهاء، وتباينت آراؤهم، وترتّب على ذلك اختلاف التوجيه للنكتة البلاغية في البيان القرآني، والبيان النبوي!

نعود للعموم في كلام بلال ﷺ وقد ختم به جوابَه، وذلك في قوله: «**مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ**»، فصلاته في عموم أحواله وزمانه لم تكن لأداء ركعة أو ركعتين! إنما تمتد صلواته وتسبيحاتُه امتدادَ نفسك نطقًا بلفظ (ما)! ومن ثم كان دفُّ نعليه في الجنة!

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٦٠/٤

(٢) فالفقهاء اختلفوا في الصلاة التي لها سبب وقتَ الكراهة؛ كتحية المسجد، وسنة الوضوء.. ونحوها على قولين: الأول: لا تجوز في أوقات النهي، وهو مذهب أبي حنيفة. الثاني: يجوز، وهو مذهب الشافعي. ينظر: الفقه الإسلاميّ وأدلته د/ وهبة الزُّحيليّ ٦٧٨/١، وما بعدها، ط: دار الفكر، سوريَّة، دمشق، ط: الرابعة.

٥- **(رؤيا خَشْف نعلي الغُمَيْصاء بنت ملحان – رضي الله عنها – في الجنة)**

قريبٌ من رؤيا بلال ﷺ رؤيا الغميصاء ﷺ، وذلك فيما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.**» (١)

الحديثُ منقبةٌ لأم سُليم، وبشارةٌ لها بالجنة؛ وإذا أبصرتَ الرؤيا ألفيتَها من مَعدِن رؤيا بلال ﷺ موضوعًا؛ بيد أنها تباينت عنها وتغايرت طريقة وأسلوبًا، على النحو الآتي:

– جاءت رؤيا بلال في معرِضِ حوارٍ يكشفُ عن سرِّ المنزلة، والاستعلام عن العمل الذي أوصله إليها؛ في حين اكتُفي في رؤيا الغميصاء بالإخبار عن رؤيتها في الجنة.

– تعاقبت الرواياتُ في رؤيا بلال على ثلاثة ألفاظ تحكي صوتَ مِشيته، ابتداءً وانتهاء، ضعفًا وشدةً؛ في حين اجتمعت الرواياتُ هنا على صوتٍ واحد (**الخشْف**)، يحكي هداءة المشية وضعفها!

– رؤيا بلال سمع فيها النبيُّ صوت مشيته، وتعرّف عليه؛ دون لجوء للاستعلام عنه؛ أما رؤيا الغميصاء بنت ملحان؛ فلم يتعرف ﷺ على صاحب الصوت؛ فسأل عنه واستفهم « **مَنْ هَذَا؟**» أي: " الماشي في الجنة " (٢)، وجاء السؤالُ بصيغة التذكير تغليبًا للمذكر على المؤنث؛ لعدم تعيينه، فلما تعين كان التأنيث «**قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ**».

– رؤيا بلال سمع النبيُّ ﷺ الصوت في الجنة، وأخبرنا أنه سمعه بين يديه؛ مما يدلُّ على شدة القرب، أما صوتُ خشف الغميصاء فاكتفي بأنه سمعه في الجنة.

– جاء طريق التعريف لبلال باسمه العلم؛ وذلك في ندائه «**يَا بِلَالُ**»؛ فهو به معروف مُنادى! أما التعريف في رؤيا الغميصاء فجمع بين اللقب «**الْغُمَيْصَاءُ**»، وفي رواية «**الرُّمَيْصَاءُ**»، والكنية «**أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ**»؛ فهي بهما معروفة معلومة؛ في حين اختلف في اسمها؛ فقيل: رميلة، أو رميثة، أو مليكة، أو نبيهة.(٣)

فهذا الاختلاف في الاسم هو الذي نادى على التعريف باللقب مع ما يسكنه من معنى مشعرٍ بضعة المسمى، لا برفعته! فـ(الرمص والغمص) قذًى يابِسٌ وغيرُ يابسٍ يكون في أطراف العين. (٤) ولا يتعاند ذلك مع قوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ** ﴾ [الحجرات: ١١]؛ فمما اتفق عليه أهل العلم أن الإخبار بمثل هذه الأوصاف جائز إذا كان للتعريف لا للتنقيص،

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أم سليم، أم أنس بن مالك، وبلال، رضي الله عنهما؛ رقم: (٢٤٥٦)، ص١٠٨٠

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٦٢١/٢٣

(٣) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٥٢٠/٣، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى ١٣٥٦هـ

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٦٣/٢، فتح المنعم شرح صحيح مسلم د. موسى شاهين لاشين ٩/ ٤٣١ ط: دار الشروق، ط: الأولى١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

وهذا يكثر عند المحدثين؛ فعندهم: الأعمى، والأعور، والأعرج..[١]

والإخبارُ عنها باللقب أتى مسندا لاسم الإشارة، مصرحًا به «**هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ**»، والأصل في مثل هذا الموطن أن يتعرَّى الكلامُ عن المسند إليه؛ إذ وقعَ جوابًا لسؤال؛ بيد أن الذكر، وإيثار طريق الإشارة تمييز للمسند إليه أكمل تمييز؛ فالمقام مقام فضيلة وعطاء.

بعد هذا كله يسوغ لي أن أقول: إنه من هذه المعطيات يمكن أن نستشف عظم منزلة بلال في الجنة، وأنها – والله أعلم – هي الأعلى درجةً في الجنة؛ والتأمل في سيرته ﷺ، وما لاقاه من غربة وتعذيب من أجل كلمة الله يهدي إلى ذلك.

[١] ينظر: أضواء البيان٩/٤٩

٦- **<u>(رؤيا قراءة حارثة بن النعمان – رضي الله عنه– القرآن في الجنة)</u>**

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**»، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ. [٢]

الرؤيا بيانُ فضل برِّ الوالدين، ومنزلة الحارث بن النعمان ﷺ وراءَ برّهِ بأمه. والمتأملُ الحديث يراه شقين؛ **<u>الأول</u>**: من عالم الرؤى، وكشفِ القناع عن أسرار الغيب، وكريم الجزاء والعطاء. **<u>والآخر</u>**: من عالم اليقظة، والمشاهد المعلوم، ونراه وقع موقع التذييل للأول.

<u>الشقُّ الأول</u>: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ.**»

جملةٌ واحدة، احتوت داخلَها ثماني جمل، نسجت الفاءُ خيوطها، وهذا أمرٌ طاغٍ على أحاديث الرؤى بنوعَيْها، وقد سبق مرارًا؛ بيد أنه يجدر التنصيص هنا على خصيصة لهذا النوع من الرؤى (الرؤى الحقيقية، أو الرؤى غير المؤولة)، لا نكاد نراها في الرؤى الرمزية المؤولة؛ وهي شيوع لغة الحوار؛ القائمِ على السؤال والجواب، وهي ظاهرة أسلوبية قلَّما نفتقدها في هذا النوع من أحاديث الرؤى،

[٢] مسند أحمد؛ رقم: (٢٥١٨٢)، ٤٢/١٠٠، وصحيح ابن حبان، كتاب: إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، باب: ذكر السبب الذي من أجله مدح حارثة بن النعمان بالبر؛ رقم: (٧٠١٥)١٥/٤٧٩

والسؤال يكون من رسول الله ﷺ عما يراه؛ وهو سؤالٌ باقٍ على أصل وضعه اللغوي، ثم الجواب عليه؛ دون تعيينٍ لمن وُجِّه إليه السؤال، وكان منه الجواب؛ فليس ثمة فائدة في ذلك؛ وبالجواب يتكشّف لرسول الله رؤاه، أو يعلم سرّ ما رآه! ؛ ففي رؤيا عيسى ﷺ «**فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ**»، «**قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ**»، وفي رؤيا قصر عمر«**فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**»، ورؤيا الغميصاء «**فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ**».

وذلك حين تخلو الرؤى الرمزية أو المؤولة من السؤال والجواب، ولا يكون إلا بعد انتهائه ﷺ من ذكرها للصحابة، وهنا يحضر سؤالهم ليَعلموا سرها، ويُخبَروا بتأويلها. وسيأتي بيانُ ذلك في موضعه – إن شاء الله تعالى.

وسؤالُ رسولِ الله في رؤيا حارثة عند سماع الصوت «**مَنْ هَذَا؟**» جاء سؤالا عن صاحب الصوت، وليس سؤالا عن ذات الصوت؛ فما قيل:(ما هذا؟) فمنشأ الإثارة، ومناط الاهتمام معرفة صاحب هذه المنزلة، ثم إن الإخبار عن الاستفهام باسم الإشارة للقريب فيه دلالة على قرب الصوت منه، وقربه ﷺ من الصوت.

أما عن سمت البناء في الرؤيا فنرى البداءةَ «**نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي..**» تعلنُ عن نوعيَّةِ الخبر، ثم إنه إعلانٌ يتَّسمُ بالهداءة؛ وهذه الهداءةُ في (البداءة والبناء) تلتقي وتتشاكل مع طبيعة الرؤيا، وما فيها من جزاء أخرويّ مرتب على برٍّ دنيوي.

وهكذا نبصر النبرة في أحاديث الرؤى تهبط وتعلو؛ تبعًا لطبيعة المعنى معها، ومساق الحديث فيها!

ومما اتسم به بناؤها أنه عمد إلى تشويق النفوس وتحريك ساكنها؛ لتتحرك إلى البر، وتنال جزاءه، وذلك من طريقين؛ **الأول**: قصد الجمل القصيرة المتعاقبة بالفاء؛ التي من شأنها استرقاق الأسماع للإنصات والإصغاء!

والطريق الآخر: تقديم ذكر (الحَدَث) على (صاحبه)؛ بيان ذلك: أنه ﷺ ذَكَر رؤاه في الجنة، وسماعه لصوت قارئ يقرأ، وسؤاله عن صاحب الصوت، فكان التنكير والإبهام في صدارة المشهد، ثم جاء التعريف بذكر صاحب الحدث في الجواب، وهو آخر ما جاء في الرؤيا، وازن بين ما عليه البيان، وأن يقال:(نمت فسمعت حارثة بن النعمان يقرأ في الجنة) بتقديم ذكر حارثة، ومجيء الحدث وصفًا له لترى وقْع الأول على النفس!

إن تقديم ذكر الحدث، وما يحيط به من هالة إجلال وتعظيم يمهد النفوس لاستقبال صاحبه على أنه من أولي العزم من الرسل! أو أنه نبي، أو رسول، أو من الملائكة المقربين! فإذا فوجئ به المتلقي أنه بشر! شأنُه شأنه، منزلته منزلتُه! أبْرقَهُ جزاءه ومكانته، فيحرص على معرفة خبيئته؛ لتكون له أمارة ومنارة، فيلقى الجزاء نفسه، والمكانة نفسها!

الشق الآخر: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**»، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّه.

يقعُ تذييلا للرؤيا، والإشارة إلى الجزاء، والتعبير عنه باسم الإشارة يكتنز الكثير من المعاني والأسرار؛ بيد أن أبرزها إشعاعا وتوهجًا

في السياق معنى الجدارة والاستحقاق؛ أي فما استحق هذه المنزلة العالية، والمكانة الرفيعة إلا بسبب البر!

وتأمل التكرار «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**»، وما يعكسه من أثر وقْع أثر العمل وجزائه على الصحابة، وشدة تعجبهم منه، فكرر الجملة تثبيتًا للمعنى، وتمكينًا له، تعانق معه تعريف " الخبر بلام الجنس تنبيها على أن هذه الدرجة القصيا لا تنال إلا ببر الوالدين." [١]

[١] فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥١٩/٣

٧- (**رؤيا دفْع السواك إلى الأكبر**)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ؛ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ.**» [٢]

لم تغترب الرؤيا بناءً ونسجًا عن غيرها من أحاديث الرؤى؛ ترى صدارتَها مُعلِنَةً عن طبيعة القول، تتابع جملها القصار؛ متعاقبةً بالفاء، يطغى على البناء أسلوب الحوار؛ بيد أنه تشابك هنا حوار الفعل مع حوار القول!

«**أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ**» العدولُ إلى صيغةِ المضارعِ في الإخبار عن الرؤيا، وما رآه فيها استحضارٌ للحدث، وتشخيصٌ لوقائعه؛ وكأنه يمثل أمام العيان! وإرداف «**أَرَانِي**» بالمتعلق «**فِي الْمَنَامِ**» كشفٌ في البداءة، وإعلان عن طبيعة الحدث وخصوصيته.

«**فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ..**» استوطنت الفاءُ جملَ الحديث «.. **فَنَاوَلْتُ.. فَقِيلَ لِي.. فَدَفَعْتُهُ..**»؛ وذلك لما يسكنها من ترتيب وتعقيب، وجمل الحديث مرتَّبٌ بعضُها على بعض، منسول ثانيها من أولها، وهكذا.. فكل جملة مسببة ومرتبة عن التي قبلها.

ومعنى «**فَجَذَبَنِي**» أي: جذب انتباهي، ورغبتي في إعطاء السواك أحدهما؛ كلٌّ منهما

[٢] صحيح البخاري، كتاب: الوضوء، باب: دفع السواك إلى الأكبر؛ رقم: (٢٤٦) ص٤٥، صحيح مسلم، كتاب: الرؤيا، باب: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم؛ رقم: (٢٢٧١) ص١٠٠٧

له وجه في استحقاق التقديم، ولعل الأصغر سنًّا كان أعلم من الأكبر، أو أفضل في التقوى، وكانا معا في المواجهة. (١)

«**فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا**» " يعني: أردت مناولة السواك " (٢) أي إنه عبّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؛ لأنه ما ناوله حقيقةً بدلالة الكلام بعده؛ فالكلام جارٍ على المجاز المرسل بعَلاقة المسببية؛ حيث أطلق المسبب (المناولة)، وأراد السبب (إرادة المناولة)، والمجاز يستعلن منه ملابسة الإرادة بالفعل؛ ففيه معنى المبادرة والإسراع في المناولة؛ وهو يتعانق مع العطف بالفاء، ودلالة الجذب في قوله: «**فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ**».

«**فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ**» أحسب أن وصف مقول القول «**كَبِّرْ**» مدارُ الأمر في الرؤيا، وهو بيت القصيد فيها! فمعقِدُ الكلام ومقصوده تقديم الأكبر، والبداءة بذي السن في كل منزلة.. فى الطعام، والشراب، والكلام، والمشى.. قياسًا على السواك، وهذا معلوم من سنته وأمره فى غير هذا الحديث (٣)، ودلالةُ الأمر يفيض منها معنى التعظيم والتشريف، واشتقاقها من الوصف (الكبر)؛ دون أن يقال: (أعط الكبير) فيه تعليل لمغزى الأمر بالتقديم؛ فجمعت الصياغة بين الإيجاز والتعليل!

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم بتصرف وحذف ٦٥/٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤٠٠/١

(٣) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣٦٤/١ تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٨- (**رؤيا شفاء النبيّ ﷺ من السّحر**)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؛ أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**.»

فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «**نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**»، فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «**لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا**»، ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ.(٤)

إِنَّها رؤيا شفاءِ النّبيّ ﷺ من السِّحر(٥)، وإذا

(٤) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده؛ رقم: (٣٢٦٨)، ص٥٤٤، صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: السحر؛ رقم: (٢١٨٩)، ص٩٧١. قوله: (مشاقة) ما يغزل من الكتان. (وجف طلعة ذكر) الجف: وعاء طلع النّخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه ويطلق على الذكر والأنثى، ولهذا قيده بقوله: ذكر. (في بئر ذروان) بئر بالمدينة في بستان بني زُرَيْق من اليهود. ينظر: فتح الباري ٢٢٩/١٠.

(٥) قال النووي: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع. وهذا الذي ادّعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل،

أبصرتَ النّصَّ ألفيتَ الرؤيا لم تأتِ على أركانه، ولم تستحوذ على جنباته؛ تراها جزءًا واقعًا في ثناياه؛ في الوقتِ نفسِه اتَّخذت طريقًا مخالفًا ما قبلها وما بعدها في طريقة العرض والبناء! جَلاءُ ذلك فيما يأتي:

الحديثُ قبلَ الرُّؤيَا:

يُعَدُّ بمثابة مهاد وتوطئة، وإلهاب وتشويق لحديث الرؤيا بعده، ويتكون من ثلاثةِ مقاطعَ؛ **الأول**: إخبارٌ بما ألمّ به ﷺ من السحر، **الثاني**: ما كان منه ﷺ من رجاء ودعاء، وهما من كلام أُمِّنا عائشةَ ؓ. **والثالث**: إخباره إياها باستجابة الله دعاءه، وشفائه، وهو من بيانه ﷺ.

المقطع الأول: «**سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ**» ترى فيه ذكرَ الدَّاءِ، وما نشأ منه وترتّب عليه؛ ففيه

فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان مفضلا من أجلها، وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطئ.

قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة، والله أعلم. شرح النووي على مسلم بتصرف وحذف١٤/١٧٤. ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

تكمن براعةُ الاستهلال، ومن خلاله تَتَطلَّعُ النفوسُ وتترقب الحدثَ؛ تأمل الصدارةَ «**سُحِرَ**»، وانتقاءَها مادّةً وصيغة، وغياب المتعلق؛ ففي المادة قدرٌ كافٍ للإعلان عن مقصود القول، وفي الصيغة وإسقاط ما تعلقتْ به نداءٌ وإلهاب للمتلقي ليمتد نفَسُه مع المعنى للتعرُّف على حقيقة الحدث والإلمام به من جميع جوانبه، وإيثار العاطف «**حَتَّى**» وصولٌ بالمعنى إلى ذُروته؛ إذ إن دلالتها تعني الوصول إلى غاية الشيء ومنتهاه، وتأمل إيهام مدخولها «**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ**»، والشيء فيما يخصُّ أو يتعلق بأمور النساء، وليس كل شيء؛ كما وردِ في رواية عند البخاري: «**حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلاَ يَأْتِيهِنَّ**»[١].

وهذا العموم والإيهام، مع بلوغ الأمر حِدَّتَه يعكس شدة المعاناة، وعظم المكابدة! ومن ثم ترى **المقطع الثاني**: «**حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا**» امتدادًا للمقطع الأول؛ فهو متناسل منه، متولد عنه، وتكرار الدعاء متناغم مع وصول الأمر منتهاه؛ فسلك فيه ﷺ " مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب؛ ففي أول الأمر فوّض وسلم لأمر ربه؛ فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك، وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي، ثم إلى الدعاء. "[٢]

والمقطع الثالث: «**ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ**

[١] صحيح البخاري؛ رقم:(٥٧٦٥)، ص١٠١٨

[٢] فتح البارى ٢٢٨/١٠

أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟» من بيانه ﷺ، وفيه بناءٌ لمعنى جديد يمثلُ الانفراجةَ مما ألمّ به؛ ومن ثم تَلمَسُ فيه مغايرةً للمقطعين السابقين؛ أعلن عن هذه المغايرةِ حضورُ العاطف «ثُمَّ»، وتحوُّل الكلام من الخبر إلى الإنشاء، والاستفهام يستعلن منه معنى الإيناس والتشويق؛ إيناسُها ﵂ بما يخفف عنها وطئة حزنها لما كان عليه حاله ﷺ من شدة، وتشويقُها لما تُحبُّ سماعَه من أمر شفائه، ثم إنه قال: «**أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي..؟**» والأصلُ: (أشعرت أن الله أجابني..)، فاستعير (الفتيا) لإجابة الدعاء بجامع الاستجابة في كل؛ بيد أن اللفظ المستعار يحمل – فوق ذلك – معنى تبيين المشكل؛ فهو من المفارقة والتمييز، وفَضّ التباس الأمر وتشابكه، يقال: أَفْتاه في الأمر: أبانَه له، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ** ﴾ [النساء: ١٢٧][١]، وهذه الدلالة الاستعارية نراها شاخصةً جليّةً في نصّ الرؤيا، وحوارِ الملكين.

جُمهورُ المقاطع الثلاث – كما رأينا– توطئةٌ وتشويق لأصيل الحديث؛ رؤيا شفائه ﷺ، وما يكون فيها من أحداث؛ فما حقيقةُ تلك الرؤيا؟!

<u>**حديثُ الرؤيا:**</u>

«**أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا، قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ.**»

لم يتصدَّر حديثَها ما اعتادت عليه، وانمازت به أحاديثُ الرؤى بما يدلُّ على خصيصة الكلام، وأنه من رؤى المنام! كأن يُقال: (رأيت في المنام، أو بينا أنا نائم أتاني رجلان..)، إنما جاء القول دون إعلان عن طبيعة الحديث، ونوعية الحدث!

لعل السرَّ في ذلك يرجع إلى مغايرة الحدث هنا غيره من أحداث الرؤى؛ إنها رؤيا ذاتيّة لأشدّ ما تعرض له ﷺ من مرض؛ فلما كانت المعافاة جنح ﷺ إلى ذكر وقائع الرؤيا، وعمَد إلى ذكرِ حوارِ الملكين؛ دون مهاد بذكر طبيعة الحديث؛ فليس الحذفُ سوى تلبيةٍ لما تُحسُّه النّفسُ، وتجسيدًا لحالتها الشعورية؛ فالمتكلم "وهو يصنع لغته إنما يشتقها من ذات نفسه، ويصوغها من خواطره، ويلونها بدقائقِ حالاتِه الوجدانيَّةِ. " [٢]

كذلك يلوحُ من طيِّ هذا المهادِ معرفةُ زمن إخباره لعائشة؛ وأنه بعد استيقاظه من نومه دون تمهل؛ ومن ثم كان السياق الزمني كافيًا لمعرفة نوع الحديث. [٣]

---

[١] ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل ١٦٢١/٣، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى٢٠١٠م، لسان العرب؛ مادة: (فتا)

[٢] الأداء النفسي والبلاغة العربية د. عبد الرؤف أبو السعد ص٢٠، ط: ١٩٨٥م

[٣] ثم إنه ورد التصريح عند أحمد بأن مجيء الملكين كان رؤيا؛ « ... فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْمِهِ فَقَالَ: «**أَيْ عَائِشَةُ أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَ اسْتَفْتَيْتُهُ**»، فَأَتَى الْبِئْرَ، فَأَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ، فَقَالَ:

ثم إنّ الحوارَ هنا من نوعٍ مخصوص، يُغاير ما سبق مِن حوار الرؤى غير المؤولة؛ فما مضى فيها من حوار كان بين الرسول ﷺ والملك، أما هنا فهو حوارُ ملك مع ملك!

وحديثُ الرؤيا يقع مما قبله موقعَ التّوضيحِ بعد الإبهام، والتفصيلِ بعد الإجمال، وكان من الممكن أن يُستعاض عنه بحصول الشفاء بـ(كن فيكون)، أو تكون الرؤيا مجملةً محصَّلا فيها الشفاء. إن مجيء الرؤيا بهذا الحوار الكاشف من الملكين فيه الكثيرُ من العوائدِ والمنافع للأمة، ولا أدلّ على ذلك من صنيع البخاري؛ فقد أوردها في سبعة مواطن من صحيحه[(١)]، مستنبطًا منها العديدَ من الفوائد واللطائف؛ أوردها في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده [(٢)]. وكتاب: الطب في بابين؛ باب: السحر، وباب: هل يستخرج السحر؟ وكتاب: الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾، ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ ﴾، وترك إثارة الشرِّ على مسلم، أو كافر، وكتاب: الدعوات، باب: تكرير الدعوات.

هذه الأبواب، وما استكنّ فيها من معانٍ وقيمٍ مستلهمٌ من الحدث عموما، وحوار الملكين على وجه الخصوص!

وإذا كان الملكان اعتمدا أسلوبَ الحوار المفصّل للحدث من جميع جهاته وجوانبه سؤالا وجوابا، فإنهما –قبل ذلك كله– راعيا الجانب النفسيّ؛ فكانت البداءةُ بالفعل «**فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ**» تأمل تلك الإحاطة الحسية، وما تعكسه من عناية ورعاية بإلقاء ظلٍّ من الهوادة والسكينة والطمأنينة عليه ﷺ، تمتد تلك العناية من الفعل إلى القول في الجواب «**مَطْبُوبٌ**»، والأصل: (هو مسحور)، وإسقاط المسند إليه في جواب السؤال لا يكفي له تعليل البلاغيين في مثل ذا الموطن بالقول: إن الحذف للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر[(٣)]؛ إنّ الحذفَ فيه مراقبةٌ دقيقة للمشاعر، ومراعاةٌ للأحاسيس؛ بعدم الجهر الصريح بإسناد ضميره ﷺ للمرض! يتعاضد مع الحذف الإخبارُ بوصف «**مَطْبُوبٌ**» بطريق الاستعارة العنادية التمليحية؛ تنزيلا للتضاد منزلة التناسب؛ إزالة للسآمة والملال، وتفاؤلا

«**هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا** .. » مسند أحمد؛ رقم: (٢٤٣٤٧)٤٠/٤٠٥، كذلك عند البيهقي في دلائل النبوة؛« ... فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ... فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عَائِشَةَ... » دلائل النبوة ٩٢/٧

(١) صحيح البخاري رقم: (٣١٧٥)، (٣٢٦٨)، (٥٧٦٣)، (٥٧٦٥)، (٥٧٦٦)، (٦٠٦٣)، (٦٣٩١).

(٢) قال العيني: وجه مطابقته للترجمة من حيث إن السحر إنما يتم باستعانة الشيطان على ذَلِك، وَهِي من جملَة صِفَاته القبيحة. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦٩/١٥

(٣) ينظر: مفتاح العلوم ص١٧٦، شروح التلخيص ٢٧٧/١

بالسلامة والمعافاة. وتتّحدُ السؤالاتُ الأربعُ في حذف المسند إليه من أجوبتها؛ مبادرةً إلى المراد من السؤال، وتركيزًا عليه في الجواب.

«**قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟**» «**فَأَيْنَ هُوَ؟**» ثمة فوارق دلالية في دخول حرف العطف على البنية الاستفهامية من مجيئها عارية عن العاطف؛ فارقٌ في وقْع الاستفهام مع العاطف وأن يقال: (من طبه؟.. أين هو؟) وقَعَ العاطفُ في ابتداء جملة القول، ولزامًا من وجود معطوفٍ عليه، وأي محاولة في تقديره تكون لبيان وجه الكلام إعرابيًّا، أما حقيقةُ المعنى فهذا مما لا يهتدي إليه أحد؛ لأنه جرى في خاطر صاحب الكلام، ولم يفصح عن شيء منه، وإنما أبقاه، وجعل العطف دليلا عليه، ويظل أمره مبهمًا مختبئًا وراء هذه العلامة!(١)

ويبقى الأثرُ الدَّلاليُّ للعاطف مع الاستفهام؛ ففيه إلقاءُ مزيدٍ من الغرابة والتعجيب والإنكار لمن طاوعته نفسه؛ فأقدم على هذا الصنيع مع من أُرسِل رحمة للعالمين! وفي مجيء الفاء بعد الواو تصعيدٌ للمعنى، وإعلاءٌ للغرابة والإنكار!

- **الحديثُ بعد الرُّؤيا:**

فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «**نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**»، فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «**لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا**»، ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ.

«**فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ**» ثَمّة أحداثٌ وقعت طوتها الفاءُ، في الوقت ذاتِه أبرزتْ حِرصَه ﷺ على الخروج؛ وإسراعه إليه، والتراخي في (ثم) يعكس مدة خروجه في الكشف عن السّحر، وقد اكتنزت هاتان الجملتان جميعَ الأحداثِ الّتي وقعت بعد حديث الرؤيا، ثم كان التفصيلُ في قوله ﷺ: «**نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» الوصفُ يعتمد قالبَ التشبيه المنبئ عن قبح المشبه؛ وَحْشة نخل هذا البئر! وهو تشبيه ذائعٌ جهيرٌ عن هذا الغرض من التشبيه؛ بيد أن صفة القبح هنا اسْتَعرتْ وتوهّجت؛ إذ إنه رسخَ في الذهن وثبت أن صورةَ المشبه به (رؤوس الشياطين) قد استدعاها البيان القرآني في تصوير نفارة وقبح شجرة الزقوم؛ التي تنبت في أصل الجحيم، والتي هي طعام أهل النار!

وجوابُ سؤالِ أمّنا عائشةَ «**اسْتَخْرَجْتَهُ؟**» بالنفي يعني أنه لم يخرجْه – اكتفاءً بمعافاة الله له، وشفائه إياه – يثيرُ إشكالا؛ إذ إنه ثمة رواية عند البخاري تفيد أنه استخرجه، «**وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**»، قَالَ: **فَاسْتُخْرِجَ**، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا؟ –أَيْ تَنَشَّرْتَ– فَقَالَ: «**أَمَّا واللهِ فَقَدْ شَفَانِي..**»(٢)، وترجم البخاري عليها بقوله: (بابٌ: هل يستخرج السحر؟)

ظاهرُ الحديثين يُظن منه تعارضُهما، لكنه عند التحقيق ينتفي ذلك الأمر؛ فإنه ﷺ

---

(١) ينظر: شرح أحاديث من صحيح البخارى د. محمد محمد أبو موسى ص٢٦٧، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ٢٠٠١م، الواو ومواقعها فى النظم القرآنى د. محمد الأمين الخضرى ص٢٩٧، وما بعدها، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

(٢) صحيح البخارى؛ رقم: (٥٧٦٥)، ص ١٠١٨

استخرجه من البئر حتى رآه وعَلِمه، ثم دفنه بعد أن شُفي. وقولُ أُمِّنا عائشةَ «**اسْتَخْرَجْتَهُ؟**» أي هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك، فيقع الإنكار، ويغضب للساحر قومه، فيحدث الشر. وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة. فأمر بها فدفنت، ولم يستخرجها للناس.

فالاستخراجُ الواقعُ غير الذي سألت عنه عائشة. والذي يدل عليه أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه ولم يجئ لينظر إليها، ثم ينصرف؛ إذ لا غرض له في ذلك. والله أعلم.[١]

[١] بدائع الفوائد لابن القيم بتصرف وحذف٢٢٣/٢ ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(المطلب الثاني: الرؤى المؤولة)

١- (رؤيا دار الهجرة، وأحداث بدر، وأحد، والفتح المبين)

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ (أَوِ الْهَجَرُ)، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ. وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى، فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ.**»[٢]

حديثُ الرؤيا من علامات نبوته ﷺ؛ وأماراتها؛ ففيه إعلامٌ عن أحداث عظامٍ، ممتدةٍ عبر الزمانِ في تاريخ الدعوة؛ بدءًا بالإخبار عن دار الهجرة، مرورًا بوصف مآل الأحداث في بدر وأحد، وانتهاءً بفتح مكة.

وقبل تبصُّر طريقة البناء، وسمت التركيب ثمة سؤالان يلوحان:

الأول: هل هي رؤًى متفرقة، ذكرها رسول الله ﷺ، وجمع أطرافها في قول واحد، أم إنها رؤيا واحدة، رؤيت فيها جميعُ هذه الأحداثِ؟

[٢] صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام؛ رقم:(٣٦٢٢)، ص٦٠٨، صحيح مسلم، كتاب: الرؤيا باب: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم؛ رقم:(٢٢٧٢)، ص١٠٠٧

الظّاهرُ من نصِّ الرؤيا – فيما يبدو– أنها رؤيا واحدة، لا رؤًى متفرقة؛ يتضح ذلك من قوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ .. وَرَأَيْتُ فِيهَا**»، فجليٌّ من هاتين الجملتين أن الأحداث جميعها جاءت في رؤيا واحدة.

<u>الآخر</u>: الزمن الذي رأى فيه ﷺ، ووقت الإخبار بها؛ هل هما مقترنان، أم متباينان؟

أحسب أنهما متباينان؛ فبين وقت رؤيتها، والإخبار بها مدةٌ فسيحة من الزمن؛ فالرؤيا كانت قبل الهجرة، وقصُّها على الصحابة كان بعد فتح مكة. دعاني لهذا التوجيه أن الإمام البخاري أورد الحديث في خمسة مواضع[١]؛ أول موضع منها في (كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام)، وهذه العنونةُ تعني أن الرؤيا من دلائل نبوته ورسالته؛ قال العيني: " مطابقتُه للترجمة من حيث إن فيه إخبارًا عن رؤياه الصدق، ووقوعها مثل ما عبرها به" [٢]، ولزامًا عليه تكون الرؤيا قبل وقوع أول حدث (دار الهجرة)، وتأويلها لا يكون إلا بعد وقوع آخر حدث (الفتح) فوقوع الأحداث هي التي استمد منها الإيضاح والتأويل؛ أما ترى الفجاءة ما غابت عن تأويل الأحداث جميعها؟!

بانَ من ذلك أنها رؤيا واحدة، وأن بين رؤاه وإخباره ﷺ وقتا فسيحًا من الزمن؛ فالرؤيا كانت قبل الهجرة، والإخبار كان بعد فتح مكة قبيل وفاته ﷺ، والله أعلم.

وإذا تبصّرنا منازل المعاني في حديث الرؤيا ألفيناها تتوزع على معاقدَ ثلاث:

– **<u>المعقِد الأول</u>:** قوله ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ (أَوِ الْهَجَرُ)، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ.**»

«**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ**» صدارةٌ كاشفة، معلنةٌ عن طبيعة الحديث، وأنّ وحيَ الله ﷻ لرسوله ﷺ بكشف ستور الغيب وسرائره كان طريقُه هنا عالم الرؤى، وتجليات المنامات!

«**أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ**» بناءُ الكلام على اسمية الجملة، وتوكيدها بـ(إن)؛ مراعاة لعظم ما رؤي من أحداث، وما كان لها من كبير الأثر في تاريخ الدعوة.

ثم إنك تُبصِرُ الكلام لم يأتِ على حذوٍ واحد؛ كأن يُقال: (من مكة إلى المدينة)، أو (من أرض بها الكعبة إلى أرض بها نخل) إنما جاء التّصريحُ بما يُهاجِر منها؛ فهى أرضُ المهاد، وموطن المقام؛ معلوم برسمه واسمه! في حين جاءت الكنايةُ والتلويح بما يهاجر إليها؛ وهو معلوم بسمته ووصفه، فليست درجة العلم به كدرجة الأول، وكان لذلك الأثر في التعبير عن كل منهما!

والتعبيرُ الكنائيُّ كان مِهادًا للجملة بعده «**فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ**»، و(الوهَل) يفسره كتب الغريب، وشُرَّاحُ الحديث بالوهم؛ وهَل إلى الشيء يهِل وهْلا إذا ذهب وهمه إليه. [٣]

---

[١] رقم: (٣٦٢٢)، (٣٩٨٧)، (٤٠٨١)، (٧٠٣٥)، (٧٠٤١).

[٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري١٦/١٥٣

[٣] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٣٣،

قلتُ: هو تفسير معنى، وإيضاح دلالة؛ لكنه تبقى خصوصيّةٌ يستأثر بها كلُّ لفظ على حدة؛ فالوهم: البعير العظيم، والعظيم من الرجال، والوهم: الطريق الواسع [١]، من ذلك يمكن استنتاج أن (الوَهَم) إذا ورد بمعنى (وهم القلب) يكون منوطًا بامتداد الخاطر، وطول أمده.. أما (وهل) فيقال في استعمالاتها: لقيته أول وهله؛ أي: قبل كل شيء، والوَهَل: الفزع، والوَهِل والمستَوهِل: الفزِع النشيط. [٢] فنلمس من ذلك اختصاص الوهل بالخفة والسرعة؛ لما في الفزع من رِعدَة، وفي النشاط من خفة؛ فليس في المادة ما في الوهم من امتداد الفكر والنظر. ولا شك في أن عدم التأمل، وعدم امتداد الخاطر تناسب مع طبيعة المشهد في الرؤيا.

«**فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ**..» (إذا) للمفاجأة، وهي ترجع إلى أَرض بها نخل[٣]، وحضورُ الفجاءة فيه دلالة على أن اختيار المدينة مُهاجَراً لرسول الله ﷺ كان وحيًا من الله؛ فلم يك ثمة إرهاصات لها أو ترقب! يتعاضد معها مجيء الإسناد بعدها تام الأركان؛ دون حذف الخبر «**هِيَ الْمَدِينَةُ**»، والأساليب مطردةٌ على إسقاطه بعدها مادام معلومًا، فإذا كان غير معلوم وجب ذكره.

«..**هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**» مهيعُ النُّحاة والمعربين في مثل هذا السياق إعرابُ «**يَثْرِب**» بدل أو عطف بيان، وهو ما ألفيتُه عند شُرّاح الحديث[٤]؛ بيد أنّ هذا الصنيعَ فيه قدرٌ من المسامحة والمياسرة! وإذا كان النحاةُ قد استثنَوا موضعين أوجبت الصّنعةُ فيهما (عطفَ البيان)[٥] فإن ذلك لا يكون مسوغًا لإحلالهما محلا واحدًا فيما عداهما؛ فالإعرابُ دليل المعاني وهاديها!

التابعان وإن اشتركا في أصول المعاني، لكنه يبقى لكل منهما خصائص تركيبية ينماز بها عن الآخر؛ حيث يمكن – باعتماد عدد من المعطيات – تخليصُ أحد الأسلوبين من الآخر؛ من هذه المعطيات[٦] النّظرُ في تسمية كلٍّ من البابين؛ إذ تشير تسميةُ أحدهما بـ(عطف البيان) إلى وجود إبهام يحتاج إلى رفعه بواسطة التابع؛ في حين لا تشير تسميةُ الباب الآخر إلى ذلك.

منها – كذلك – النظر في مصدر الإبهام؛ فإن كان ناشئًا من شمول اللفظ، أو اشتراكه؛ فالمبيّن عطف بيان، وإن كان ناشئًا من عدول

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح٧/٢٩٢٢

[١] ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون مادة: (وهم) ١٤٩/٦،، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، لسان العرب؛ مادة: (وهم) ٦٤٤/١٢

[٢] ينظر: السابق؛ مادة: (وهل)

[٣] ينظر: عمدة القاري١٥٣/١٦

[٤] ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن الملا الهروي ٢٩٢٣/٧، ط: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

[٥] ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ٣١١/٣، ط: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

[٦] ينظر تفصيلها في كتاب: تخليص البدل من عطف البيان في ضوء الوظائف والخصائص دراسة دلالية من خلال القرآن الكريم د/ خديجة عبدالله سرور الصبان. ط: دار حافظ، جدة، المملكة العربية السعودية ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م

عن أصل في بناء التركيب لمقتضٍ معنوي؛ فالمبيِّن بدل![1]

ولا ريبَ في أنه ليس ثمة عدولٌ في نصِّ الرؤيا، وأنّ دلالةَ الإيضاح والتفسير معلنةٌ في النص جهيرةٌ، وهي وظيفة عطف البيان؛ فالمقصود بلفظ (يثرب) رفع الإبهام الذي كمن في (المدينة)؛ لأنها ما كانت معروفة بهذا الاسم قبل الهجرة؛ فـ " يثرب اسمها في الجاهلية، فسماها الله تعالى المدينة، وسماها رسول الله ﷺ طيبة وطابة." [2]

إنّ هذه الدلالةَ - الإيضاح ورفع الإبهام- هي التي نادتْ على لفظ (يثرب) مع أنه جاء في حديثٍ النهي عن تسميتها بذلك لكراهة لفظ التثريب؛ ولأنه من تسمية الجاهلية، وقيل: لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه لا للتحريم ؛ ولهذا جمع بينه وبين اسمه الشرعي؛ فقال: المدينة يثرب. [3]

- **المعقد الثاني:**

«وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى، فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ.»

معقدٌ يُصوِّرُ أحداثَ يومين عظيمين في حياة المسلمين؛ يوم أُحد، ويوم الفتح المبين؛ يعتمد في بنائه أسلوب الإبهام بذكر (الرؤيا)، ثم الإيضاح عن طريق (تأويلها)، ثم إنه معقدٌ انتجَعَ أسلوبَ المقابلة، وأعني بذلك مقابلة أحوال وهيئات، لا مقابلة حروف وكلمات! فهو يعرض مشهدين متباينين؛ مشهد هزيمة وشتات، ومشهد فتح واجتماع! وهكذا حال أهل الإيمان يكون دائما بين ضراء وسراء، بين صبر وشكر!

قوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ**» معطوفٌ على جملة الصدارة «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ..**»، وطولُ الفصل بين الجملتين، ووقوعُ التَّأويلِ في ثنايا الحديث استدعى تكرار لفظ الرؤيا، ونعتُها بالإشارة لتأكيد دلالة أن الإخبار من وحي المنام ما زال مستمرًّا، وأنها رؤيا واحدة. نلحظ في التكرار - كذلك- أنه جاء بعد انتهاء مقطع، وبداءة مقطع جديد من الكلام؛ فكان التكرارُ بمثابة إعلام بذلك؛ تنبيهًا للأسماع، وطرقًا للأفهام.

«**أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ**» (**الهَزُّ**) تأويلُه التحريكُ والأمر، و(**السيف**) مقصود منه الصحابة، و(**الانقطاع**) يعني القتل فيهم، و(**الصدر**) أي: وسط السيف، والتعبير به دلالة على أن من استشهد في أحد كانوا من خيار الصحابة؛ قال ابن كثير: " فاستُشهد من أكرمه الله بالشهادة من المؤمنين، فقُتل جماعةٌ من أفاضل الصحابة. " [4]

---

[1] السابق ص٦، ص١٨٣

[2] شرح النووي لصحيح مسلم بتصرف وحذف ٣٨/١٥

[3] السابق نفسه، والصفحة نفسها.

[4] الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالحميد محمد الدرويش ص١١٧، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

«**ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى**..» مجيء **(ثم)** إعلانٌ بالتراخي الزمني، وبُعد زمن الحدثين؛ فغزوة (أحد) كانت في السنة الثالثة من الهجرة، و(فتح مكة) كان في السنة الثامنة؛ وهي مدة تقترب من نصف العهد المدني، ثم إنه كان بينهما من البعوث والغزوات ما يقرب من سبعةَ عشرَ بعثًا وغزوة. [1]

ولا يغترب عن دلالة العاطف **(ثم)** معنى التراخي الرتبي؛ فهو يوميء إلى التفاوت والبعد في طبيعة الأحداث، وما آلت إليه الأمورُ مع المعطوف والمعطوف عليه؛ يُناصر هذا المعنى مجيءُ التفضيل في قوله: «**فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ**»، وما قيل: **(فعاد كما كان)**؛ فهو تصويرٌ لأثر الفتح على الإسلام والمسلمين، ودخول الناس في دين الله أفواجا؛ فكان **(السيف)** – أنصار الرجل– أكثر عددا، وأقوى عتادًا، وأعز مكانة منه قبل الفتح المبين!

– **المعقد الثالث:**

«**وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ.**»

معقدٌ ليس فيه تأسيس، أو بناء لجديد معنى؛ قدْر ما فيه من شوب تكرار للمعقد السابق؛ مع ملاحظة اختلاف وتنوع في الأداء بين المعقدين.

مبناه تفصيلٌ بعد إجمال، وإيضاح بعد إبهام! تبصر إجمالا وإبهاما في صدارته «**وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ**»، وتفصيلا وإيضاحا في عجزه « **فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ**... »، وقد روعي في ذلك أسلوب التقسيم؛ حيث ذكر متعددا، ثم أضاف ما لكل على التعيين، وهو" من عوامل ترابط الأسلوب، واتحاد أجزائه؛ فأوله متصل، وآخره مرتبط بأوله، وكل كلمة فيه آخذة بعنق صاحبتها؛ إذ الفائدة متوقفة على الكلام جميعه، ومعلقة بالانتهاء منه، وقد جعله الشيخ عبدالقاهر من النظم الذي يتحد في الوضع، ويدق فيه الصنع."[2]

ولم يأتِ التقسيم مع الكلام في المعقد السابق لكون المعنى يُذكر للمرة الأولى؛ فاحتاج الإبهام (رؤيا الحدث) إلى إيضاحه أولا (بتأويله) قبل عرض الحدث الآخَر من الرؤيا، فلما كان المعنى نفسه ثانيةً تباينت طريقة عرضه بإلقائه كاملا في ثوب مجمل مبهم؛ وكأنّ ثمّةَ معنًى جديدًا مغايرًا لسابقه، فإذا ما جاء تفصيله وإيضاحه وعلم أنه هو، لم يتباين عن سابقه تمكن في النفس أشد تمكن، ووقع فيها أجمل موقع!

«**وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا... فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ**»، وثمة رواية «**وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً**»[3] عبّر ﷺ عن حال الحرب بالبقر لما لها من السلاح والقرون، شبهت بالرماح، فلما كان من طبع

---

(1) ينظر: الفصول في اختصار سيرة الرسول ص١٢٣: ص١٨٠

(2) دراسات منهجية في علم البديع د. الشحات محمد أبوستيت ص٢٤٥، ط: الأولى١٤١٤هـ ١٩٩٤م

(3) مسند أحمد ٩٩/٢٣

البقر المناطحة والدفاع عن أنفسها بقرونها كما يفعل رجال الحرب، شبه ﷺ النحر بالقتل.[١]

ومرادُ القول وإن كان مكررا إلا أنك تُبصر تكاملا في المعاني؛ هناك: «**سَيْفًا**»، وهنا: «**بَقَرًا**»، ففي الأول إشارة إلى وصف نصرتهم ومؤازرتهم له ﷺ؛ فـ" سيف الرجل أنصاره الذين يصول بهم كما يصول بسيفه"[٢]، وفي الآخر إشارة إلى قوة عتادهم وتجهزهم؛ " قال السهيلي: البقر في التعبير بمعنى رجال متسلحين يتناطحون. "[٣]

«**وَرَأَيْتُ فِيهَا... وَاللهُ خَيْرٌ...**» اختلف الشُّراحُ في قوله: «**وَاللهُ خَيْرٌ**» والأولى قَولُ من قال: إنه من جملة الرؤيا، فإنها كلمة سمعها ﷺ في الرؤيا عند رؤياه البقر بدليل تأويله لها بقوله: «**وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ..**»[٤]، وفسر (الخير) بـ« **مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَثَوَابِ الصِّدْقِ..**»، والمراد – والله أعلم – ما أفاء الله به من فتوحات وغنائم[٥]، وما أعده لهم من الثواب والأجر؛ فجمع لهم خيري الدنيا والآخرة.

وينتهي حديث الرؤيا بهذا العموم؛ الممتد الزمان، المتعدد الوقائع والأحداث في قوله: «**وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**»؛ فلم يحدد يومًا بعينه فيدخل فيه كل نصر وغنيمة جاءت بعد غزوة بدر، وقد كان في المعقد السابق محددا ببدر والفتح، والإخبار عن حال الصحابة في الغزو من قوة وعتاد؛ بيد أنه هنا امتدت آفاق الغزوات والفتوحات، وكان الإخبار عن مآل نصرتهم ومؤازرتهم في الدراين.

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٩/٥٥٠

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم ١٥/ ٣٢

(٣) فتح الباري ٧/٣٧٧

(٤) ينظر: فتح الباري١٢/٤٢٣، عمدة القاري١٦/١٥٣

(٥) ينظر: فتح الباري١٢/٤٢٢، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري شمس الدين الكرماني ٢٤/١٣١، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الثانية١٤٠١هـ ١٩٨١م

٢- **(رؤيا نقْل وباء المدينة إلى الجُحفة)**

عَنْ سَالِمِ بن عبدالله، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ، ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ؛ فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ.**»[١]

حديثُ الرؤيا وقَعَ في جملةٍ واحدة، وهي جملةٌ مركبة، وهذه الطبيعة التركيبية غير متكاثرة في أحاديث الرؤى؛ فجُلّ بنائها - كما سبق مرارًا - قائم على جمل بسيطة قصيرة، متتابعةٍ بالفاء.

ترى حدث (الرؤيا) مرتبطًا بالمفعول «**امْرَأَةً**» قد جاء مقيدا بأوصاف ثلاثة، تلمس فيها إبهامًا، وخفاءً في المراد: «**سَوْدَاءَ، ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ**»، وثمة وصفٌ رابع في رواية عند أحمد «**تَفِلَةً**»[٢]، ولا يتم الحصول على مقصود معنى الرؤيا إلا بحضور جميع هذه المقيدات من الأوصاف، واستبصارِ خصائصها، وغيابُ وصفٍ منها، أو عدم مراعاة خصوصياته يعني نقصانًا في عناصرِ بناء الرؤيا، وعدم الوفاء في تأويلها!

فوراء كل وصف معنى ومغزى، ولا أدلّ على ذلك من صنيع الإمام البخاري في تبويبه للحديث[٣]؛ فمن فقه تناوله - رحمه الله- أنه أورده تحت ثلاثة أبواب؛ الأول: (بَابُ إِذَا رَأَى أَنَّهُ أَخْرَجَ الشَّيْءَ مِنْ كُورَةٍ فَأَسْكَنَهُ مَوْضِعًا آخَرَ)، والثاني: (بَابُ الْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ)، والثالث: (بَابُ الْمَرْأَةِ الثَّائِرَةِ الرَّأْسِ)، ولم يكتفِ بإيراده تحت باب واحد؛ مما يدل على اعتبار كل وصف على حدة!

- **الوصف الأول «سَوْدَاءَ»:**

قال القيراواني المُعَبِّر: كل شيء غلبت عليه (السوداء) فى أكثر وجوهها فهو مكروه؛ فربما دلت على الدنيا الحرام والزوجة الحرام، فمن وطئها فى المنام دخل فيما لا يليق به، فإما طعامًا حرامًا يأكله، أو شرابًا يشربه، أو ثوبًا على ذلك النعت يلبسه، أو دارًا مغصوبة يسكن فيها. [٤]

ووجه التأويل هنا أنه شُقّ من اسم (السوداء) (السوءَ)، و(الداءَ)، فتأول خروجها بما جمع اسمُها.[٥]

- **الوصف الثاني «ثَائِرَةَ الرَّأْسِ»:**

لما كانت الحمى مثيرةً للبدن بالاقشعرار وارتفاع الشعر عبر عن حالها في النوم بارتفاع شعر رأسها؛ فكأنه قيل: الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة.[٦]

وإسنادُ الوصف إلى (الرأس) على المجاز المرسل بعَلاقة المحلية؛ إذ الأصل: (ثائرة شعر الرأس)؛ وكأن انتفاش الشعر تعداه إلى محله

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: التعبير، باب: إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة، فأسكنه موضعا آخر؛ رقم: (٧٠٣٨)، ص١٢١٣

[٢] المسند ١٠/٣٤٥

[٣] ينظر: صحيح البخاري؛ رقم: (٧٠٣٨، ٧٠٣٩، ٧٠٤٠)، ص١٢١٣

[٤] ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال ٩/ ٥٥٢، فتح الباري ١٢/ ٤٢٦

[٥] فتح الباري ٣٨/٢٠، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٥٢٦

[٦] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥٢٦/٩

ومنبته! وذلك يدلّ في التعبير على شدة حرارة الحمى، وتوهجها، وفورانها؛ يتعانق مع هذا المعنى أنه ما قيل: (منتفشة الشعر، أو منتشرة) إنما «**ثَائِرَةَ**» مما يدل على شدة غليانها؛ مأخوذ من " ثَارَ الْغُبَارُ .. ثَوَرَانًا هَاجَ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْفِتْنَةِ: ثَارَتْ، وَأَثَارَهَا الْعَدُوُّ، وَثَارَ الْغَضَبُ: احْتَدَّ، وَثَارَ إلَى الشَّرِّ: نَهَضَ، وَثَوَّرَ الشَّرَّ: تَثْوِيرًا " [١]

– **الوصف الثالث «خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ»:**

وذلك بدعائه ﷺ فقد ثبت ذلك عنه من حديث عائشة أنه قال: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ.**» قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ.[٢] فكأن حديث الرؤيا وقع بعد هذا الدعاء استجابة من الله لنبيه.

يدلُّ على ذلك – أيضًا – روايةُ: «**أُخْرِجَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ فَأُسْكِنَتْ بِالْجُحْفَةِ**»[٣]، وترجمة البخاري للحديث بعنوان: (بَابُ إِذَا رَأَى أَنَّهُ أَخْرَجَ الشَّيْءَ مِنْ كُورَةٍ فَأَسْكَنَهُ مَوْضِعًا آخَرَ)، ففاعل الإخراج النبي ﷺ، وكأنه نسبه إليه؛ لأنه دعا به.[٤]

«**فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ..**» وما قيل: (فأولت أن حمى المدينة)، و(الحمى) هي مقصود القول، و" الْوَبَاءُ بِالْهَمْزِ مَرَضٌ عَامٌّ" [٥]؛ فهو يعمُّ (الحمى) وغيرها فالكلام جارٍ على المجاز بعَلاقة الكلية؛ وكأن (الحمى) سكن فيها من الأذى والضرر ما في الأمراض جميعها!

ويستوقفني اصطفاءُ (التأويل) في قوله ﷺ «**فَأَوَّلْتُ..**»، وهذه المادة تراها تكثر وتتنادى مع هذا النوع من الرؤيا، فإذا ما أبصرتَ الرؤى المؤولة ألفيتَها ركنتْ إلى هذه المادّةِ (أَوَلَ)، وسكنت إليها؛ سواء أكان ذلك من إخباره ﷺ، أم من سؤال الصحابة «**فَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ.. فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ.. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟**» ولم تبصر عيني لفظ (التعبير)؛ فما قيل: (فعبرتها، أو فما عبّرت؟)

والتأويل: من الْأَوْل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغايةِ المرادةِ منه، علمًا كان أو فعلا [٦]، وَآلَ يَؤُولُ، أَيْ: رَجَعَ. قَالَ يَعْقُوبُ: يُقَالُ: (أَوَّلَ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ)، أَيْ: أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ.. وَالْإِيَالَةُ السِّيَاسَةُ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّ مَرْجِعَ الرَّعِيَّةِ إِلَى رَاعِيهَا.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَاقِبَتُهُ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ** ﴾ [الأعراف: ٥٣]، يَقُولُ: مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ بَعْثِهِمْ وَنُشُورِهِمْ. [٧]

أما (التعبير) فمأخوذ من (عَبَرَ) الذي يَدُلُّ

---

[١] المصباح المنير، مادة: (ث ور)، ١/٨٧، وانظر: المفردات في غريب القرآن للراغب، تح: صفوان عدنان الداودي ص١٨١، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى١٤١٢هـ

[٢] صحيح البخاري؛ رقم:(١٨٨٩)، ص ٣٠٣

[٣] مسند أحمد رقم: (٦٢١٦)١٠/٣٤٥

[٤] ينظر: فتح الباري ١٢/٤٢٥

[٥] المصباح المنير، مادة: (وبء) ٢/٦٤٦

[٦] المفردات في غريب القرآن ص٩٩

[٧] مقاييس اللغة ١/ ١٥٩: ١٦٢، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٩٤٤، ١٩٤٥

عَلَى النُّفُوذِ وَالْمُضِيِّ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ: عَبَرْتُ النَّهْرَ عُبُورًا .. وَمِنَ الْبَابِ: عَبَرَ الرُّؤْيَا .. إِذَا فَسَّرَهَا. وَوَجْهُ الْقِيَاسِ فِي هَذَا عُبُورُ النَّهْرِ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مِنْ عِبْرٍ إِلَى عَبْرٍ، كَذَلِكَ مُفَسِّرُ الرُّؤْيَا يَأْخُذُ بِهَا مِنْ وَجْهٍ إِلَى وَجْهٍ." (١)

من دلالة المادتين يمكن أن نستخلص سرّ استحواذ (التأويل) على الأحاديث؛ فهو يعني بيان العاقبة والمآل؛ وهو يعني هنا مآل الرؤيا، وما يصير إليه أمرها في الواقع الملموس؛ لا يتغير منه شيء، ورؤيا النبي وحيّ، وتأويله لها حق وصدق، و" لفظ التأويل لم يرد في القرآن إلا بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل تصديقا لخبر، أو رؤيا، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل." (٢)

أما (التعبير) فهو تفسير للرؤيا، ولا تُعنَى دلالة اللفظ بالمآل، أو النظر في العاقبة؛ إنما مجرد تفسير لها وقعت أم لم تقع؛ ثم إن " (التعبير) مختصٌ بتعبير الرؤيا " (٣) أيًّا كان نوعها، و" التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة. " (٤)

(١) مقاييس اللغة ٢٠٧/٤: ٢٠٩، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٣٩٤
(٢) تفسير المنار ١٤٤/٣
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٣
(٤) الكشاف ٣٢٤/٢

٣، ٤، ٥- (**<u>رؤى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه</u>**-)

وقف البحثُ في الرؤى غير المؤولة مع رؤيا قصره ﷺ في الجنة، وله هنا ثلاثةُ أحاديثَ ترمزُ إلى غزارةِ علمه، وقوّةِ دينه، واتساعِ الفتوحات في عهد خلافته ﷺ.

<u>الحديث الأول</u>:

<u>(فضل العلم، ومكانة علم عمر)</u>

عن عبدالله بن عمر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ، حَتَّى أَنِّي (إِنِّي) لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**».(٥)

رؤيا اللبن فى النّوم تدل على السنة والفطرة والعلم والقرآن؛ لأنه أول شىء ناله المولود من طعام الدنيا، وهو الذى يفتق مِعاه، وبه تقوم حياته؛ كما تقوم بالعلم حياة القلوب، فهو يشاكل العلم من هذه الناحية!(٦)

يلوحُ في بناء الرؤيا أفعالٌ ثلاثة أحسب أن فيها مفاصلَ تنقُّلِ معاني الرؤيا: «**أُتِيتُ.. شَرِبْتُ.. أَعْطَيْتُ**» الأول والثاني من خصائصه ﷺ، والثالث في حقِّ عمر ﷺ.

- **<u>الفعل الأول «أُتيتُ»</u>:**

يقعُ صدرَ جملةِ جواب (**بينا**) «**أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ**»، واصطفاءُ مادّةِ (**الإتيان**)؛ فما قيل: (جيء لي بقدح)؛ لأن في المجيء معنى الغلبة

(٥) صحيح البخاري؛ رقم:(٨٢)، ص ١٩، صحيح مسلم؛ رقم:(٢٣٩١)، ص ١٠٥٣
(٦) عمدة القاري ٨٧/٢

والإلجاء؛ يقال: أجاءه إلى كذا؛ أي جاء به وألجأه، واضطره إليه، أما (الإتيانُ) ففيه معنى السهولة والترفُّق؛ كذا فيه معنى الكثرة؛ قال الفراء: أَتَتِ الأرضُ والنخلُ أَتْوًا، وأتى الماءُ إتاءً، أي: كثُر[١]، وهذه المعاني في (الإتيان) تتناغم ومقام الرؤيا في سهولة الآتي وترفقه، وعِظم ما أتى به وكثرته!

يتناغى مع اصطفاء المادة اصطفاءُ الصيغة؛ البناء لما لم يُسمّ فاعله؛ لأن متعلق الفعل «**بِقَدَحِ لَبَنٍ**» هو محطّ العناية والاهتمام؛ فالغرض منصبٌّ عليه، ومدار تأويل الرؤيا إليه! وفي طيّ الفاعل – كذلك – إلقاء مزيد من الهيبة والجلال عليه؛ أي إنه أتاني من جهة عظيمة لا يمكن أن يُدرك كنهُها، ولا أن يحاط بوصفها!

«**بِقَدَحِ لَبَنٍ**» الفعل يُعدّى بنفسه وبحرف الجر[٢]، والرواياتُ أجمعتْ على تعديه بالحرف؛ وذلك لما في الباء معنى الملاصقة، وملابسة الشيء، والتمكن منه [٣]، ولعلّ في إيثار لفظ (**القَدَح**) دون غيره؛ كـ(القدر، أو القصعة..) تكاملا مع ما كان فيه؛ بيان ذلك أن " القِدْح: السهمُ قَبْلَ أَن يُنَصَّلَ ويُراش " [٤]، فمن دلالة المادة أداة الحرب والقتال، وما وضع فيه (اللبن)، وأُوّل بـ(العلم)؛ و(السيف والعلم) هما سلاح المؤمن؛ ومن ثم جمعت بينهما الآيات في سورة التوبة[٥]؛ دلالةً على تكاملهما، وعدم غناء أحدهما عن الآخر، وأن هذه الأمة يحميها عالم بعلمه، ومجاهد بسيفه!

– **الفعل الثاني «شَرِبْتُ»:**

يأتي معطوفًا على جملة الجواب بالفاء: «**فَشَرِبْتُ حَتَّى أَنِّي (إِنِّي) لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي**»، وطريقة البناء جارية على اعتماد الحدث (الشرب)، دون متعلقه؛ فما قيل: (فشربت منه، أو من ذلك اللبن)؛ وذلك تركيزًا عليه، لإفادة معنى الوصول إلى الكمال فيه، والانتهاء عند الغاية العظمى منه!

يلتقي مع هذا المعنى إيثارُ حرف الغاية (**حتى**)، والرواياتُ تعاقبتْ على فتح همزة (إنّ) وكسرها، والفتح على عدِّها (جارّة)، والكسر على كونها (ابتدائية)، والمعنيان يلتقيان في إفادة بلوغ الأمر إلى منتهى الغاية!

وتفصيلُ القول: فتحُ الهمزة يعني أنّ (حتّى) جارّة، واصفاؤها دون (إلى)؛ لأن (حتّى) لا تستعمل إلا غاية لآخر الأمر؛ فهي نصٌ في ذلك؛ تقول: (نمت حتى آخر الليل)، ولا يجوز: (نمت حتى منتصفه أو ثلثه)، فلا تأتي لعطف جزءٍ، ولفظُها يوحي بهذا المعنى؛ فهو من (الحتّ)، ومعنى (الحت) الاستئصال والإزالة والخلوص إلى النهاية، أي الوصول إلى نهاية

---

[١] ينظر: المفردات في غريب القرآن ص٦٠، مقاييس اللغة ٧٤/١، الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم د. محمود موسى حمدان ص١٢ وما بعدها، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

[٢] ينظر: المصباح المنير ص٣

[٣] ينظر: الجنى الداني ص٣٤

[٤] لسان العرب، مادة:(قدح)، ٢/ ٥٥٦

[٥] الآيات ١٢٠: ١٢٤، وقد أفدتُ الجمع من محاضرة لشيخنا أ.د/ محمد أبو موسى؛ أطال الله في النعمة بقاءه!

الأمر؛ بخلاف (إلى) فليست نصًّا في ذلك فتستعمل لعموم الغايات، سواء كانت آخر جزء من الشيء أم لا، فتقول: (نمت إلى آخر الليل.. ونمت إلى ثلث الليل).(١)

أي إنّ (حتى) لا تأتي في الكلام إلا للدلالة على معنى الوصول إلى غاية الشيء ومنتهاه؛ فقولك: " (ضربت القومَ)، القومُ عند من تخاطبه معروفون، وفيهم رفيعٌ ودَنِيءٌ. فإذا قلت: (ضربت القومَ حتى زيد)، فلا بد من أن يكون (زيد) إمّا أرفعَهم، أو أدناهم، لتدلّ بذكره أن الضرب قد انتهى إلى الرُّفعاء أو الوضعاء، فإن لم يكن زيدٌ هذه صفتُه، لم يكن لذكره فائدةٌ. "(٢)

أما رواية كسر الهمزة، وابتدائية (حتى)؛ فلإفادة معنى السببية، والمعنى: تسبب عن ذلك أني رأيت الريَّ..، وهي على هذا المعنى " تدل على أن مضمون الكلام الذي بعدها أهم بالاعتناء للإلقاء عند المتكلم؛ لأنه أجدى في الغرض المسوق له الكلام."(٣)

تَجلّى من ذلك التقاء الروايتين، وانتهاؤهما عند غاية واحدة، ومراد واحد؛ الإعلام بالانتهاء والوصول إلى الغاية من الشرب والتمكن من ذلك؛ وهذا ما استدعى التوكيد باسمية الجملة، ودخول (إن) واللام عليها «**أَنِّي (إِنِّي) لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي**»، ومجيء الأثر الناتج عن الوصول للغاية العظمى مُجسّدًا، مشخصًا عن طريق المجاز بالاستعارة المكنية «**لَأَرَى الرِّيَّ**» فـ(الرِّيُّ) لا يُرى أو يشاهد؛ لكنه لبلوغه الذروة في المنتهى أصبح متمثلا للعيان، يُبصَر ويُرى!

ومن جمال تشخيص الحدث إلى جلال استمرارية الحدث وديمومته! «**يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي**»، الضمير عائدٌ إلى (اللبن)، أو إلى (الرِّيّ)، و(الرِّيُّ) لا يُرى ولا يَخرج! و(اللبن) يخرج، لكن على الأظافر، وليس في الأظافر! فإن عاد إلى (الرِّيّ)؛ فالكلام على التمثيل الاستعاري، وإن عاد إلى (اللبن)؛ فعلى استعارة معنى الظرفية، والاستعارة – على المعنيين – فيها دلالة الاستمرارية، وعدم الانقطاع، فهو يخرج وما زال، فما ترك الري أظافره ﷺ؛ إنما ظل فيها ما غادرها، يدلك على ذلك حضور صيغة المضارع «**لَأَرَى.. يَخْرُجُ**»، وما قبلها ماضٍ «**شَرِبْتُ.. أُتِيتُ**»، وكذلك ما بعدها: «**أَعْطَيْتُ.. قَالُوا.. أَوَّلْتَهُ**»؛ فهي وإن كانت لاستحضار الصورة، لكن فيها شوبًا من معنى التجدد والاستمرار!

– **الفعلُ الثَّالثُ «أَعْطَى»:**

يأتي في بيان فضل عمر: «**ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، وتراه معطوفًا بـ**(ثم)**، وهو تراخٍ رُتبيّ، وليس تراخيًا زمنيًّا إعلامًا بتفاوت المرتبة بين الأنبياء وغيرهم، و«**فَضْلِي**» " أي: سؤري الكثير الخالص" (٤)، ومَن مِثلُ

(١) ينظر: الأصول في النحول لابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي١/٤٢٤، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، شرح المفصل لابن يعيش ٤/٤٦٥، معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي٣/٣٤، ط: دار الفكر، عمان ط: الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م

(٢) شرح المفصل بتصرف يسير ٤/ ٤٦٥

(٣) التحرير والتنوير ٨/ ١١٦

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٣٨٩٦

الفاروق في تمكّنه من العلم ورسوخه فيه، وقد ترشَّف من فضل خاتم الأنبياء؟! وثمة رواية عند البخاري «**ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**»؛ دون ذكر (الفضل) دلالة على كثرة ما بقي، ومن فقه هذا الإمام – طيب الله ثراه– أنه خصّ هذه الرواية بكتاب: (فضائل الصحابة)، باب: (مناقبِ عمرَ بن الخطاب) [(١)]؛ فهي الأنسب لمعقود الباب، والأدلّ على فضيلة عمر!

وبعد أن قصّ رسول الله رؤياه تشوقت قلوب الصحابة وتلهفت للسؤال عن تأويلها؛ فجاء مسندًا لجموع الحاضرين، منادين بأداة البعد «**قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟**» وأسرع ﷺ لهم بالجواب، مكتفيًا بلُب التأويل «**قَالَ: الْعِلْمَ**».

[(١)] صحيح البخاري؛ رقم: (٣٦٨١)، ص (٦١٨).

الحديث الثاني:

(حال دين الناس، وقوةُ دين عمر).

عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الدِّينَ.**» [(٢)]

قال أهلُ التعبير: وجهُ تعبير القميص بالدين أنّ القميصَ يسترُ العورة في الدنيا، والدينَ يسترها في الآخرة، ويحجبها عن كل مكروه، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾ [الأعراف:٢٦]، والعرب تُكْني عن الفضل والعفاف بالقميص، وجرُّه عبارَة عَمَّا فضَل عَنهُ وانتفع النَّاس به، بخلاف جَرّهِ فِي الدّنيا للخيلاء فإنه مذموم.

قال ابنُ العربيّ: وأمّا غيرُ عمر فالذي كان يبلغ الثُّدِيّ هو الذي يستر قلبه عن الكفر، وإن كان يتعاطى المعاصي، والذي كان يبلغ أسفل من ذلك، وفرجُه بادٍ هو الذي لم يستر رجليه

[(٢)] صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال؛ رقم: (٢٣)، ص٧، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، رقم: (٢٣٠٩) ص١٠٥٢، مسند أحمد (٢٣١٧٢) ٣٨/ ٢٣٧، جامع الترمذي، أبواب: الرؤيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم اللبن والقمص (٢٢٨٥)، ص٥٢٤، ط: دار السلام، الرياض، ط: الثانية١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

عن المشي إلى المعصية، والذي يستر رجليه هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه، والذي يجرّ قميصه زائدا على ذلك بالعمل الصالح الخالص. (١)

وإذا ما تبصَّرنا في أنسابِ بنائها؛ ألفينا بداءتها عاليةَ الطَّرْق والوقْع «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ**»؛ وذلك لما فيها من وعيد وترهيب، وفضل وترغيب! ثم إنها تَضمَّنت التنصيص على أنّ الناس يتفاضلون في الإيمان بالقلة والكثرة، وبالقوة والضعف، " وهذا يردُّ قولَ أهل البدع الذين يزعمون أن إيمان المُذنبين كإيمان جبريل، وأنه لا تفاضل في الإيمان" (٢)؛ ومن ثم أورده البخاريّ في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

والرؤيا قِوامُ بنائها على التقابل الجمليّ؛ بين جواب (بينا) «**رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ..**»، وما عطف عليه: «**وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ..**»؛ بيد أنه لم يأتِ على حذوه وسَننه! فما قيل: (ورأيتُ عمرَ يُعرضُ عليّ)؛ لم تمتزج فيه الألفاظ، ولم تتشارب التراكيب! إنما تباينت وتغايرت؛ وهو تغايرٌ تركيبيٌّ نابعٌ من تغاير معنويٍّ! فاختلاف المعاني، وتباين الرتب والمقامات؛ أذن للنسيج التقابلي أن يكون هو الآخر متغايرا متباينًا؛ حتى تحدث المشاكلة، ويكون الوئام بين الأساليب ومعانيها، وليست النظرة العَجلى لظاهر الطرفين؛ دون تبصُّر دلالة المعاني ومدى توافقها وتباينها، وهو فقهٌ عالٍ في تصريف الكلمات، وبناء التراكيب، أحسبه غائبًا عن وعي العقل البيانيّ!

يلوحُ في سمت بناء الرؤيا لزومُ **(الواو)** جملةَ الحال في ذكر القميص (الدين) في جهتي التقابل «**وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ**»، حال من (الناس)، «**وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ**»، حال من (عمر)، وهو لزوم بلاغيٌّ – لا لزوم نحوي – لزوم مكنونٌ فيه من درر البيان؛ ما جعل شيخَ الصنعة – طيَّب الله ثراه – يُنبِّه على أنه أول ما ينبغي أن يُضبطَ من مَعاقِد جملة الحال.(٣)

ورأسُ ما قال: أنّ الكلام دون الواو خبرٌ واحد؛ لكنه مع الواو بمثابة خبرين! فالواو " وإنْ لم تكن عاطفةً، فإن ذلك لا يُخْرجُها من أن تكونَ بمنزلة العاطفةِ في أنها جاءتْ لتَربِطَ جملة، ليس من شأنِها أن تَرتبِطَ بنفسِها " (٤)

أقولُ: وهذا كلُّه نابعٌ من طبيعة المعنى في جملة الحال، ومدى شعور المتكلم بخطورته وأهميته؛ فإذا كان المعنى مأنوسًا، لا يُناط به إنكارٌ أو غرابة؛ فتأتي الجملة دون الواو، وتكون في حكم التتمة لما قبلها؛ تُنزَّل منها منزلة الجزء. أما إذا أراد لفت الانتباه إلى المعنى في جملة الحال؛ لِكَونه مناطَ حكم أو اهتمام... أدخلَ الواو عليها؛ ليضفي على الجملة شَوْب الاستئناف، ويمنحها معنى الاستقلال بنفسها؛ وكأنها ليست امتدادًا للكلام؛ إنما هي أرومة وأصل!(٥)

ومن ثَمّ دخلت الواو في الموطنين؛ لإفادة

---

(١) ينظر: فتح الباري ١٢/٣٩٦، عمدة القاري ١/ ١٧٤
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/٧٤
(٣) دلائل الإعجاز ص٢٠٢
(٤) السابق ص٢١٤
(٥) ينظر: السابق ذاته ص٢١٣

معنى خبرين؛ خبر أنه ﷺ رأى الناس، وخبر أنهم كانوا على هذه الهيئة من القمص، وأن عمر كان على هيئته؛ جاءت الواو في جملة الحال؛ لأنها – فيما أحسب – نياط الرؤيا وبيت قصيدها؛ ألا ترى أنّ عِماد التأويل كان عليها؟ ومنها وقع الترهيب والترغيب؟ وبانَ فضل عمر، وتمام دينه؟

ثم إنه يلوحُ في بناء تراكيب الجزء الأول من المقابلة اعتمادُ معنى (التفزيع والتخويف)؛ تأملْ مجيءَ جمع الكثرة (**قُمُص.. الثُّدِيّ**)؛ فما قيل: (وعليهم أَقْمِصةَ، منها ما يبلغ الأَثْدِي) بجمع القلة فيهما[1]؛ مما يعني أن هناك كثرة كاثرة قصّرت في أمر دينها، وفرطت في حق ربها!

دعْ عنك أن يُحمَل التعريف في (الناس) على العهد الذهني؛ بجعل الكلام خاصًا بجماعة المسلمين؛ وليست فيه للجنس! قال ابن حجر: " المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون؛ لتأويله القميص بالدين" [2] ، ثم ترى الإبهام يحوطك في قوله: «**وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ**»، قال ابنُ حجر: " يحتمل أن يريد دونه من جهة السفل، وهو الظاهر، فيكون أطول. ويحتمل أن يريد دونه من جهة العلو، فيكون أقصر." [3]

قلتُ: ما آنستُه في بيان النبوة هو التحديد والتقييد لأدقّ الأشياء والأوصاف! فلا يدعُك دون القطع بالمراد! وهذا ما يجعلني أطمئنُ بالقول: إن الإبهام –هنا– مقصودٌ لذاته مراعاةً لطبيعة المقام؛ فهو إبهامٌ فيه عينُ البيان! لإلقاء مزيد من التهويل والتخويف؛ فتقف معه النفسُ، وتذهب في تأويله كل مذهب!

وكان أثرُ الرؤيا ووقعُها – ترهيبًا وترغيبًا – واضحًا على قلوب الصحابة؛ مما جعل السؤال ينطق به جمعُهم، وهو – لامحالة – من بعض الحاضرين؛ فجاء المجاز المرسل؛ بعَلاقة الكلية «**قَالُوا**»، والتعبير بالماضي «**فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ**»؛ فليس ثمة تمهل أو انتظار! والنداء – ولا موجب له – «**يَا رَسُولَ اللهِ**»، وتراه للبعيد، وهو بين أيديهم يُحدثهم!

الحديث الثالث:

(نُبوءة اتساع الفتوحات في خلافته)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**.»[4]

الحديثُ يتضمن نُبوءةً للعُمرَين؛ فجاءت الصدارةُ «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي**»! قال الخطابيُّ: " المعنى – والله أعلم – أنه إنما أراد بهذا القولِ إثباتَ خلافتهما، والإخبار عن مدة ولايتهما،

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ مادة: (قمص)، (ثدي).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣٩٦

(٣) السابق ٣٩٥/١٢

(٤) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام؛ رقم:(٣٦٣٤)، ص٦١٠، وصحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه؛ رقم:(٢٣٩٣)، ص١٠٥٤

والإبانة عما جرى عليه أحوال أمته في أيامهما، فشبه أمر المسلمين بالقليب، وهو البئر العادية، وذلك لما يكون فيها من الماء الذي به حياة العباد وصلاح البلاد، وشبه الوالي عليهم والقائم بأمورهم بالنازع الذي يستقي الماء، ويقريه للواردة، ونزع أبو بكر ذنوبا أو ذنوبين على ضعف فيه؛ إنما هو قِصر مدة خلافته، والذنوبان مثل في السنتين اللتين وليهما وأشهرا بعدهما، وانقضت أيامه في قتال أهل الردة، واستصلاح أهل الدعوة، ولم يتفرغ لافتتاح الأمصار، وجباية الأموال؛ فذلك ضعف نزعه.

وأما عمرُ فقد طالت أيامه، واتسعت ولايته، وفتح الله على عهده العراق والسواد، وأرض مصر، وكثيرا من بلاد الشام، وقد غنم أموالها؛ فقسمها في المسلمين، فأخصبت رحالهم، وحسنت بها أحوالهم؛ فكان جودة نزعه مثلا لما نالوه من الخير في زمانه، والله أعلم." [١]

نقلتُ النص – مع طوله– لأن فيه كشفَ حقيقة الرؤيا، وجلاء مُشْكِلِها؛ فما حدّث ﷺ بتأويلها. والمثل في الرؤيا جارٍ على طريقة العرب؛ فهي تضرب المثل في المفاخرة والمغالبة بالمساقاة والمساجلة[٢]، وبقي أن نضعَ اليد على الخصائصِ التي عرَضت في نظم الكَلم: [٣]

أولا: اصطفاء مفردات البناء؛ **(قليب، نزع، ذنوب، غرب، عبقريّ، يفري)**.

(القليب) هو البئر الذي لم يُطوَ بالحجارة والآجُرّ؛ فإذَا طُوِيَ فهو طَوِيٌّ[٤]، وما قيل: (رأيتُني على طَوِيٍّ)؛ لأنه – كما سبق – إشارةٌ إلى أمر المسلمين؛ وهو لم يستقر حاله بعدُ ولم يثبت؛ إنما كانت الأحداث متغايرةً متلاحقة في الأزمنة الثلاثة، ولعل فيه إلماحًا إلى ما يتعرض له أمر الأمة من مكائدَ وفتنٍ!

أما مادةُ **(نزع)** فتبصرُها عمدةَ مواد البناء! حيث تكررت خمس مرات مع العصور الثلاثة، «**فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ.. ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا.. فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ**»، واختُصّ عهدُ عمر بصيغة المصدر المؤكد لعامله «**يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ**».

تُفسِّرُها كتبُ الغريب، وشُرّاحُ الحديث بـ(أستقي، وأخرجت)[٥]، وهو مقبولٌ تفسيرَ معنى، لكن يبقى للَفظ البيان العالي أَوْجُه في سياقه! وإذا أردت أن تقف على شيء من سر الاعتصام بهذه المادة، فتَبصّرْ مسميات الآبار ونعوتها؛ كما ذكرها ابن سيده في المخصص[٦]، تدركْ آيةَ ما عليه بيان أفصح من نطق بالضاد؛ فما قيل: أَجُبُّ منها، أو

---

[١] غريب الحديث للخطابي١/٤٣٢، وانظر: شرح النووي على مسلم ١٥/١٦١

[٢] ينظر: غريب الحديث للخطابي١/٤٣٢

[٣] العبارة من قول الشيخ: " لا يكفي في علم (الفصاحة) أن تنصبَ لها قياسًا ما، وأن تصِفها وصفًا مُجملا، وتقولَ فيها قولاً مُرسلا، بل لا تكونُ من معرفتها في شيءٍ حتى تُفصِّل القولَ وتُحصِّلَ، وتضعَ اليدَ على الخصائصِ التي تَعْرِضُ في نَظْم الكَلِم.." دلائل الإعجاز ص٣٧

[٤] ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢/٧٤٣

[٥] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٤١

[٦] ينظر: المخصص لابن سيده٣/٢٤

أسهُب منها، أو أقعر منها.. فالبئر الجبُّ، والسهبة والقعيرة كلها آبارٌ بعيدةُ القعر؛ كذا ما قيل: أمتاح منها.. مع أنّ البئر المتوح هي القريبة! وما عليه البيانُ العالي من (البئر النزوع)؛ وأصل النّزْع: الجَذْبُ والقلْعُ، ومنه نَزْعُ الميت روحه، ونزَع القوسَ إذا جذبها، والمنازعة: المجاذبة في المعاني والأعيان. وبئرٌ نَزوعٌ: قريبة القعر، تُنْزَعُ دِلاؤُها بالأيدي نَزْعًا لقربها.[1]

فالمادة تجود بهاتين الدلالتين **(الشدة، والقرب)**، وهما معًا رأسُ المعنى، وذروة سنامه! فـ(الشدة) مما يعني قوة اليد، ونفوذ الإحكام، وهو ما يُناط بأن يكون عليه الراعي ومدير شؤون العباد؛ في الوقت ذاته دلالة (القرب) التي ترمي إلى أن يكون الراعي دانيًا من رعيته! محيطًا بأحوالهم! خبيرًا بحوائجهم! لا أن يضرب دار غربة؛ يجلس فيها مُعتزِزًا! نائيًا عن تصاريف أمورهم!!

والعدولُ إلى وصف **(الغرب)**، بعد ذكر (الذنوب)؛ فهي الدلو العظيمة، وهي أكبر من (الذنوب)؛ سُميت بذلك لأنها النهاية في الدلاء من غرب الشيء، وهو حدُّه[2]، وإيثارُه في الحديث في التعبير عن ولاية عمر؛ لأنه ينطق بتصوير معنى العظم والاتساع في مدة خلافته؛ أي إنّه لمّا أخذ الدَّلْو عظمت في يده، وكذا وقع التأويل؛ فالفتوح في أيامه كانت أكثر من الفتوح في أيام أبي بكر؛ رضي الله عن العمرين!

وقد مهّد هذا العدول في الوصف لإيراد وصفي **(عبقريّ، ويفري)**، و**(عبقريّ)** منسوبٌ إلى (عَبْقَر)؛ يقال: إنه موضعٌ للجنّ ينسب إليه كلّ نادر؛ فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق، أو شيئا عظيما في نفسه نسبوه إليه . ولفظ **(الفري)** أخصّ من (العمل)، وما يشابهه؛ فالعرب تقول: تركته يفري الفري إذا عمل العمل فأجاد. [3]، وهذان الوصفان يُنبئان عن سرّ عدول التركيب في قوله: «ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ» وما قيل: (ثم أخذها عمر فنزع بها، فاستحالت غربا) مما دلّ على سرعة تصاريف الأمور، وتحولها في خلافته.

<u>ثانيًا</u>: نسْجُ خيوط الجمل؛ ترى نسجَها مغايرًا ما ألفناه من تعاقب الفاءات وتفردها! فأقامت (الفاء) في أربعة مواضع؛ في حين نازعتها (ثم) في موضعين، وكذلك (الواو) موضعين، وجاء (أو) في موضع واحد.

وكلُّ عاطف وُضع في محله الذي يتناغى مع معناه؛ فالحديث تكوّن من ثلاث جُمل كبرى « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ.. ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ.. ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ**»؛ جاء نسجها بـ**(ثم)**؛ في حين عُطفت هذه الجمل من داخلها بـ**(الفاء)** «**فَنَزَعْتُ مِنْهَا.. فَنَزَعَ بِهَا.. فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا**».

والفاء – كما نعلم – تُعدّ أصلَ الباب عطفًا؛

---

[1] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٥/٤١، لسان العرب مادة: (نزع)

[2] ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم٣/٦١، ط: دار المعرفة، لبنان، ط: الثانية.

[3] ينظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٤٤، النهاية في غريب الحديث والأثر٣/١٧٣

لما تُنتجه من تعاقب الأحداث وتواليها؛ فكان موطنُها التعقيب داخل الحدث؛ في حين كان **(ثم)** مرتكزًا لجمل الحديث الكبرى، يعطفها على بعضها؛ فحصل من خلاله الانتقال من عصرٍ للذي يليه؛ فعطفت تحوّل الأمور بعد وفاة رسول الله لأبي بكر «**ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ**»، والتحول إلى عمر «**ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ**»؛ وهي في ذلك ليست على جمهور معناها (التراخي الزمني)؛ لكنه مستمدٌ منه، وقائم عليه؛ جاء العطف بها إثارةً للسامع، بتصوير البون الشاسع، والمفارقة الشديدة في طبيعة الأحداث والوقائع في هذه العصور الثلاث؛ وذلك تشبيهًا لتباعد الأحداث وتباينها، بتباعد ما بينها في الوقت.[١]

وأما موضعا الواو، فالأول في وصف زمن أبي بكر «**وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ**»، وهي فيه حالية، والثاني في الدعاء له «**وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ**»، وهي واو الاعتراض. وموضع (أو) «**فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ**»، يقال إنه للشك؛ " والأظهر أن (أو) بمعنى (بل) فلا يحتاج إلى تخطئة الراوي، ولا إلى شكه وتردده."[٢]

[١] أفدته من: الكشاف ٩٤/٣، ومن أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ص١٨٨

[٢] مرقاة المفاتيح ٣٨٩٧/٩

٦- **(رؤيا سوارين من ذهب في يديه ﷺ)**

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ؛ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا، فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي؛ فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ؛ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ.**» [٣]

قال القاضي عياض: إنما تأول السوارين على الكذابين، ومن ينازعه الأمر لوضعهما غير موضعهما؛ إذ هما من حلي النساء، وموضعهما أيديهما لا أيدي الرجال، وكذلك الكذب والباطل هو الإخبار بالشيء على غير موضعه؛ مع كونهما من ذهب، وهو حرام على الرجال، ولما في اسم السوارين من لفظ (السور) لقبضهما على يديه، وليسا من حليته؛ ولأن كونهما من ذهب إشعارا بذهاب أمرهما، وبطلان باطلهما. [٤]

وإذا تبصّرنا سمْت بناء الرؤيا ألفيناها جاءت على جمل بسيطة قصيرة، نسجتها (الفاء)، ووصلت بينها، وأحدثت لها وقْعًا متتابعا متواليا؛ لا يدعك حتى ينتهي بك إلى نهاية أحداثها، ومعرفة تأويلها!

«**رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ**» بتقديم الجار والمجرور على المفعول به، فأصل القول: (رأيت سوارين في يدي)، وتقديم الجار يجهر

[٣] صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام؛ رقم: (٣٦٢١)، ص ٦٠٨، صحيح مسلم، كتاب: الرؤيا، باب: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم؛ رقم: (٢٢٧٤)، ص١٠٠٧

[٤] ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب ٢١٧/٨

بمحل الإثارة والاستغراب، ويعلن عن موطن الدهشة والإعجاب! ليس موطنه السوارين في ذاتهما؛ إنما لكونهما في يديه ﷺ؛ ومن ثم كان التقديم؛ " كأنَّهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أَعْنى". [١]

وقوله ﷺ: «**مِنْ ذَهَبٍ**» تأكيد للسوارين؛ لأنّ السوارَ لا يكون إلا من ذهب، فإن كان من فضة فهو: (قُلْب)[٢]، وزيادة على معنى التوكيد تلمس في حضور المادة (ذهب) إشعارا بمعنى الذهاب والبطلان الذي يؤول إليه أمر الكذابين! وتراهما معًا «**سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ**» تلفُّهما دلالة الإبهام والغموض.

«**فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا**» وما جاء الخبر (فأهماني)؛ فليس (الهم) متعلقًا بذات السوارين؛ إنما هو متعلق بما يؤول إليه أمر تفسيرهما، وشأن تأويلهما، وإنما أهمه ذلك، وعظم عليه لكون الذهب من حلية النساء، ومما حرم على الرجال [٣].

والشُرَّاحُ على أنّ " هَمَّنِي الْأَمْرُ وَأَهَمَّنِي بِمَعْنًى وَاحِدٍ " [٤]، وهو تفسيرٌ أرى فيه نوعًا من المسامحة؛ وبالتأمل المعجمي في تصاريف المعنى مع الصيغتين يمكن أن نلتقط فارقًا لطيفًا بينهما؛ يقول ابن منظور: " هَمَّه السُّقْمُ يَهُمُّه هَمّاً أَذابَه وأَذْهَبَ لَحمه " [٥]، " وأَهَمَّني الأَمرُ إِذا أَقْلَقَك وحَزَنَك " [٦] أرأيتَ كيف أن (همّ) تعني إذابة النفس حزنًا، أما (أهم) فتزيد على ذلك معنى إثارة الهم في النفس، وبعث القلق والاضطراب فيها؟! فوقْعُ الرؤيا عليه ﷺ لم يكن مستوطنًا النفس فحسب؛ إنما استوقد الهمّ من مكمنه، وجعل يساوره ويناجيه!

«**فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ**» بالبناء لما لم يُسمّ فاعله – كعادة الحوار في الرؤى – تركيزًا على الحدث، وعدم تعلق فائدة بمن كان منه القول؛ فمعلوم أنه من الملائكة.

«**أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا**» (**أنْ**) تفسيرية لما في الوحي من معنى القول؛ فحصل بها الإيضاح بعد الإبهام، ثم إن الوحي لم يأتِ بخلعهما أو رميهما؛ كأن يقال: (اخلعهما، أو ارم بهما) إنما ورد بنفخهما " إشارةً إلى حقارة أمرهما؛ لأن شأن الذي ينفخ، فيذهب بالنفخ أن يكون في غاية الحقارة." [٧]

يتعانق مع دلالة المادة مجيئها متعدية «**انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا**»، ولم تأتِ لازمة؛ كأن يقال: (انفخ فيهما، فنفخت فيهما)، والأصلُ في الفعلِ اللزوم، " وَقَدْ يُقَّالُ نَفَخَهُ فَانْتَفَخَ"[٨]، وفي القرآن " جاء (نفخ) لازمًا في جميع مواضعه "[٩]، وأحسبُ أن في العدول عن

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٠٧

(٢) ينظر: عمدة القاري ١٦/ ١٥٢

(٣) ينظر: فتح الباري ٤٢٤/١٢

(٤) عمدة القاري ١٥٢/١٦

(٥) لسان العرب، مادة: (همم)، ٦٢٠/١٢

(٦) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) فتح الباري٤٢٤/١٢، وانظر: مرقاة المفاتيح ٢٩٢٤/٧

(٨) المصباح المنير ٦١٦/٢

(٩) الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته د. عبدالحميد

الأصل (اللزوم) إلى مجيء الفعل متعديًا مؤازرة بما نطقت به المادة من معنى الحقارة؛ وكأنه ليس ثمة حيّز، أو جرم يكون فيه نفخٌ!

«**فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي**» من هذه الجملة استمدّ الإمام البخاري تبويبه للحديث في كتاب (المناقب)؛ باب (علامات النبوة) ففيها إخبار عنه ﷺ بأمر قد وقع بعضه في أيامه، وبعضه بعده؛ فإن العنسي قتل في أيامه، ومسيلمة قتل بعده في وقعة اليمامة. [١] " فإن قلت: قال: يخرجان بعدي، ومسيلمة خرج بعده، وأما العنسي فإنه خرج في أيامه؟ قلت: معنى قوله (بعدي): يعني بعد ثبوت نبوتي، أو بعد دعواي النبوة." [٢]

ولخطورة أمر الرؤيا جاء تأويلها في صورتين من المعنى؛ صورة الإبهام وشحذ الانتباه بذكر وصفهما «**كَذَّابَيْنِ**»، وصورة التعيين والتحديد بذكر الذات «**الْعَنْسِيَّ .. مُسَيْلِمَةَ**».

مصطفى السيد ٣/١٣٦٥ط: دار البيان العربي – جدة، ط: الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

[١] ينظر: عمدة القاري١٦/١٥١

[٢] عمدة القاري ١٦/١٥١، وانظر: شرح النووي ١٥/ ٣٤

<u>الخاتمة</u>

حمدًا لله تعالى، وصلاة وسلامًا على سيدنا رسول الله، وعلى آله، وصحبه ومن والاه..

وبعد:

<u>فهذه أظهرُ النتائجِ التي توصلت إليها الدراسة:</u>

– رؤى النبيّ ﷺ المناميّة متنوعةٌ في مناحيها، وهي من علامات ودلائلِ نبوته ﷺ؛ لما فيها من كشف ستور الغيب وسرائره.

– عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أكثرُ الصحابة في رؤيا النبي ﷺ؛ رأى له أربعًا؛ تُبيِّن منزلته في الجنة، وتُعلن عن قوة دينه، وغزارة علمه، واتساع الفتوحات في خلافته؛ واحدة من الرؤى غير مؤولة، وثلاثة مؤولة؛ ثنتان أبان عنهما النبي وأوّلهما، وواحدة ما أخبر ﷺ بتأويلها.

– لأحاديث الرؤى طوالع تنماز بها عن غيرها، تُعلِن بَداءةً عن طبيعة القول، وتتضمن من الإيحاءات والدلالات ما يتناسب مع طبيعة حدث الرؤيا؛ كان أبرزُها حضورًا مطلعين؛ «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ**»، و«**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ**»؛ بيد أنّ الأولَ أكثرُ شيوعًا، وأعلى قوة وتوكيدًا.

– اطرد التعبيرُ عن المرئي في نوعي الرؤيا (غير المؤولة، والمؤولة) بصيغتين متقابلتين؛ الصيغة الأولى: (التنكير) حال بدء الرؤيا، الصيغة الأخرى: (التعريف) حال نهايتها، ويتمّ الانتقال في النوع الأول – غير المؤولة – بواسطة سؤاله ﷺ في رؤاه عن المرئي وإخباره عنه، في حين يتم الانتقال في النوع الثاني بواسطة إخباره ﷺ الصحابة عن المرئي، وفي كلا النوعين تكون لغة الحوار مع السرد مجال

بنية النصّ.

– للفجاءةِ سلطانٌ على حركة المعنى في مشاهدِ الرؤى، واتخذتْ في سبيل الوصول إلى ذلك مسلكين؛ **الأول:** لفظيٌّ عن طريق الظرف **(بينا)**، و**(إذا)** الفجائية، **والآخر:** تولَّدَ من وقْع الجمل القصيرة، وتعاقبها بالفاء.

– جملُ أحاديث الرؤى تراها في الكثير الغالب بسيطةً غيرَ مركبة؛ قصيرةً متتابعة، لا يمكن الوقوف عند إحداها؛ إنما تأخذ بالمتلقي، حتى تصل به إلى نهاية الحدث، والوقوف على مآل الرؤيا.

– تستحوذُ **(الفاءُ)** على وصل الجمل ونسجها؛ لانسجامِ ما يسكنُها من معانٍ ودلالاتٍ مع طبيعة المعاني في مشاهدِ الرؤى.

– أحاديث الرؤيا غنيةٌ بصيغة المضارع لما تمتلكُه من قدرة استحضار الحدث وتشخيصهِ حيًّا نابضًا؛ تأكيدًا لتذكرها وضبطِها؛ وكأنّها حاضرةٌ ماثلةٌ أمامه ﷺ وقتَ التحدُّث بها.

– المشاهدُ في الرؤيا هي محطُّ العناية، وبؤرةُ الاهتمام؛ وتحقيقًا لهذا الهدفِ، ووصولاً إليه عمَد البيانُ طريقَين؛ بناءَ الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، أو مجيءَ الفعل مسندًا للضمير؛ دون الاسمِ الظاهر.

– للإمام البخاريّ – طيّب الله ثراه – فقهٌ عالٍ في تبويباته، وفي اختيار الرواية الموائمة لترجمته؛ إذا تعددت روايات الحديث، وهو مجالُ بحثٍ بلاغيٍّ مغفولٍ عنه، يحتاج من يُخلص له من أولي الألباب!

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

ثبت أهم المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

- الأداء النفسي والبلاغة العربية د. عبد الرؤف أبو السعد، ط: ١٩٨٥م
- الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم د. محمود موسى حمدان، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق بنت الشاطئ ص٢٣٠ ط: دار المعارف، ط: الثالثة
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون، تونس١٩٩٧م
- تخليص البدل من عطف البيان في ضوء الوظائف والخصائص دراسة دلالية من خلال القرآن الكريم د/ خديجة عبدالله سرور الصبان. ط: دار حافظ، جدة، المملكة العربية السعودية ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م
- التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) للإمام الرازى ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى١٤١١هـ ١٩٩٠م
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى١٤١٣هـ ١٩٩٢م
- الحواشي على درة الغواص لابن بري وابن ظفر، تح: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م
- دراسات جديدة في إعجاز القرآن مناهج تطبيقية في توظيف اللغة د. عبدالعظيم إبراهيم المطعني، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- دراسات منهجية في علم البديع د. الشحات محمد أبوستيت، ط: الأولى١٤١٤هـ ١٩٩٤م
- الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين د. سهل بن رفاع العتيبي، ط: دار كنوز اشبيليا.
- الرؤى والأحلام في ضوء الكتاب والسنة لابن حجر العسقلاني، ط: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تح: أحمد محمد الخراط ص٥٩ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ت.
- سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة دراسة منهجية تأويلية ناقدة أ.د/ محمود توفيق محمد سعد، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
- شرح أحاديث من صحيح البخارى د. محمد محمد أبو موسى، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى١٤٢١هـ ٢٠٠١م
- شرح صحيح البخارى لابن بطال تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض ط: الثانية، ١٤٢٣هـ، ط٢٠٠٣م

- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم تح: د. يحيى إسماعيل ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
- شرح النووي على مسلم لأبي زكريا محيي الدين النووي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ
- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: مكتبة دار السلام، الرياض، ط:٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م
- صحيح ابن حبان تح: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري ط: دار السلام، الرياض، ط: الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- غريب الحديث للخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، ط: دار الفكر، دمشق، ط: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ط: دار المعرفة، بيروت،١٣٧٩هـ
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم د. موسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، ط: الأولى١٤٢٣هـ
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، لبنان، ط: الثانية.
- فيض الباري على صحيح البخاري أمالي محمد أنور شاه تح: محمد بدر عالم الميرتهي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى ١٣٥٦هـ
- الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط: الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى، تح: محمد الصادق قمحاوي ط: الحلبى، مصر، ط: الأخيرة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م
- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي، ط: دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري شمس الدين الكرماني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م
- لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- المخصص لابن سيده تح: خليل إبراهم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري، ط: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط: الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن الملا الهروي ط: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م
- مسند الإمام أحمد تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى٢٠١٠م
- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات ص ١٩٨، ط: مؤسسة النشر الإسلامي ط: الأولى ١٤١٢هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
- معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي، ط: دار الفكر، عمان ط: الأولى١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط: محمد علي صبيح وأولاده، ومطبعة المدني بالقاهرة، د. ت.
- المفردات في غريب القرآن للراغب، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى١٤١٢هـ
- مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
- الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨هـ
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي شرح وتحقيق: أ.د/ عبدالعال سالم مكرم، ط: عالم الكتب، القاهرة
- الواو ومواقعها فى النظم القرآنى د. محمد الأمين الخضرى، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

فهرس الموضوعات